الدراسة الخامسة :

الموقف الأبيقوري من الخوف من الموت[1]

مقدمة

أ- وهم الخوف من الموت

ب- أضرار الخوف من الموت

جـ- الأدلة الأبيقورية على وهم الخوف من الموت

١- عدم وجود متعرض لضرر الموت

٢- برهان الاتساق

٣- الموت لا يشكل حرماناً

٤- دليل السكان

٥- برهان حتمية الموت

د - نقد وتفنيد

هـ الرأي الشخصي

الخاتمة

الهوامش

[1] نشر هذا البحث للمرة الولى في مجلة كلية الآداب بسوهاج العدد ٢٧ الجزء الول مارس ٢٠٠٤م.

مقدمة

علي الرغم من أن الموت حقيقة مؤكدة في حياة كل كائن حي ، ورغم أن الإنسان هو الوحيد من بين الكائنات الذي يعرف أنه سوف يكابد الموت يوماً من الأيام ، ورغم أن التفكير في الموت ظهر مع ظهور الإنسان على الأرض، فإن الموت من أشد الأمور غموضاً علينا!! فنحن لا نعرف مثلاً حتى الآن : لماذا كُتب علينا الموت؟ ولا متى سوف نموت؟ ولا لماذا وُجدت الحياة أصلاً التي تقترن دائماً بالموت؟؟ .. إلي أخر هذه الأسئلة المحيرة وربما المعجزة . وكلما عجز الإنسان عن التوصل إلي الإجابة الشافية كلما جد في طلبها ، بل وبلغ الغرور بالإنسان مبلغاً جعله لا يطمع فحسب في فك طلاسم الموت وحدها ، بل وطمع أيضاً في أن يصل يوماً إلي القضاء على الموت نفسه وتحقيق الخلود، أو على أضعف الإيمان أن يصل إلي إزالة الخوف منه من داخل النفوس.

كان الفلاسفة منذ القدم أكثر من انشغل بلغز الموت ، وكم كان "سينكا" معبراً عندما قال "إذا أردت ألا تخشى الموت ، فإن عليك ألا تكف لحظة عن التفكير فيه".[١] واعتبر أفلاطون الفلسفة بجملتها تأملاً للموت ، وإعداداً له . في حين ذهب شوبنهور في العصر الحديث إلي القول بأن الموت هو الموضوع الرئيس للفلسفة، والملهم الأكبر للتفكير الفلسفي.[٢] واعتبر معظم الناس والفلاسفة معهم أن الموت هو الشر الأعظم الذي يشيع التشاؤم بين الناس . حتى أن شاعرة اليونان "سافو" Sappho قالت "لو لم تكن لآلهة تعتبره كذلك ، لكانت هي نفسها قد ماتت."[٣] وكانت هذه هي نظرة أفلاطون وأرسطو والرواقية إلي الموت ، وقد قدم أفلاطون إيمانه بالخلود الأخروي سلاحاً نتغلب به على الخوف من الموت ، وقدم أرسطو الشجاعة.[٤] أما الرواقية فقالت بضرورة أن

نعيش حياة الخلو من الهموم (الأباثيا) لننتصر عليه. وكانت الفلسفة الأبيقورية بجملتها مذهباً فلسفياً موجهاً بجملته للانتصار على الموت، وقهر الخوف منه في النفوس. والمقصود هنا بالخوف : الخوف الميتافيزيقي من فناء المرء وانعدام وجوده ، وليس مجرد ردود الأفعال الوظيفية المنعكسة عندما نتعرض لمواقف خطرة ، أي ليس المقصود به حالات الخوف الوقتية السريعة أمام حالات عارضة من الخطر ، وإنما الخوف المغروز داخل كل إنسان فينا من فنائه. وهو خوف يوجد لدى البشر جميعاً بلا استثناء على حد قول الأبيقوري "ليوكريتيوس" خوف يوجد حتى لدى أولئك الذين ينكرون علناً ذلك. إذ يظهر هذا الخوف من الموت عندهم صريحاً وواضحاً في أوقات الخطر ، ففي هذه اللحظة على الأقل تصدر الأصوات الحقيقية من أعماق الصدر، وتسقط الأقنعة، ولا تبقى إلا الحقيقة.[٥]

كرست الأبيقورية الكثير من كتاباتها لمعالجة إشكالية الخوف من الموت ، فقد تناولها أبيقور في رسالته إلي مينيسي Menoeceus وفي كتابه "الأفكار الرئيسية". وتوسع ليوكريتيوس في عرضها كثيراً في الفصل الثالث من قصيدته "في طبيعة العالم". لقد سعى أبيقور إلي تحرير معاصريه من الأوهام والمخاوف التي تقف حجر عثرة أمام سعادتهم الكاملة في الحياة، وعلى رأسها الخوف من الموت، والخوف من الآلهة . ورغم أنه كان يعيش عصراً يبعث علي اليأس والإحباط بظروفه السياسية والاجتماعية البائسة ، وكان هو على المستوى الشخصي يعيش حياة أليمة عاني فيها كثيراً من المرض العضال ومن الفقر والنفي ، فقد أعلن تحديه لكل هذا ، واعتبر أن تحرير الإنسان من مخاوفه المهمة التي ينبغي أن تضطلع بها فلسفته.

ويمكننا القول بأن أبيقور قد وظف فلسفته الطبيعية ونظريته في المعرفة لخدمة نظريته في الحياة، حيث اعتبرهما مقدمة ضرورية لتحقيق الحياة السعيدة . "فلن يتحرر المرء من مخاوفه ، ومن سلطان الأساطير ، ويستمتع باللذة خير

استمتاع إلا إذا درس الطبيعة ، وعرف أسرار الكون."[٦] وقال أيضا " إننا لو كنا لا نضطرب إطلاقاً للمخاوف التي تبثها فينا ظواهر السماء ، أو تلك التي يبعثها فينا الموت ، ما كنا بحاجة إلي المزيد من درس الطبيعة."[٧] وروى شيشرون نفس هذا الإيمان لدى أبيقور بأن الفلسفة الطبيعية تريحنا من عبء الخرافة ، وتحررنا من الخوف من الموت ، وتقينا من الآثار المدمرة للجهل.[٨]وذكر فورفوريوس قول أبيقور "كلما أصبت بالإحباط فما ذلك إلا لأنك نسيت الطبيعة ، وكبلت نفسك بمخاوف ورغبات لا حدود لها."[٩]وأكد ليوكريتيوس على أن التمعن الدقيق في الطبيعة ، والدراسة المتسقة لها "سوف تقودنا حتما إلي محو أشكال الفزع والظلام من عقولنا، فلا نصبح كالأطفال تخاف قلوبنا وترتعش من الأشياء التي لا نعرفها في الظلام. هيا لنقضي على المخاوف بنور الحقيقة."[١٠]لذلك وصف أبيقور الفلسفة بأنها "فن جعل الحياة سعيدة من خلال الكلام والبراهين."[١١] فلم تكن المعرفة لأجل المعرفة ذاتها هي الهدف من وراء الفلسفة عنده ، وإنما جلب السلام والسعادة للإنسان على الأرض . لذلك قال "سوف يكون فكر الفيلسوف الذي لا يسهم في معالجة المعاناة البشرية فكراً عقيماً ، تماما مثل فن الطبيب الذي لا يعالج أسقام الجسم هو فن عقيم."[١٢]

كان أبيقور مفكراً عملياً مادياً ، لا يؤمن بأننا نملك شيئاً سوى الحاضر وحده ، وواجبنا الأوحد في الحياة أن نستمتع بهذا الحاضر قدر الإمكان، فلا شيء يعادل السعادة البشرية في هذه الحياة ، وعلينا أن نعتمد على أنفسنا وحدها وليس الآلهة لجعل الحياة الوحيدة المتاحة أمامنا حدثاً سعيداً ، ولن تتحقق لنا السعادة إلا بطرد الخوف الخرافي من الآلهة ومن الموت من عقل الإنسان . لأن السعادة جائزة تمنحها الحكمة للإنسان بعد تعمق في التأمل من جانبه. فعلى الإنسان أن يخطط دائما ليظل مسيطراً على واقعه ، و موظفاً إياه لخدمة سعادته وليس العكس.[١٣] وإذ كان أبيقور قد اعتبر تحرير البشر من المخاوف رسالته الفلسفية الأولي فقد كانت وراء هذا الاعتبار دوافع شخصية

على رأسها حبه الشديد للبشرية ، وحسه المرهف الذي لم يتحمل رؤية البشرية تئن تحت وطأة المآسي فسعى إلي وضعها على طريق السعادة ، كما أن تجوله على المنازل من أمه في صدر شبابه يوزع معها الرقي والتعاويذ التطهيرية ربما ألهمه كراهية الخرافات ، والوقوف على أثرها المدمر على الحياة البشرية.[١٤]

فإذا كان أبيقور قد سعى لأداء هذه الرسالة السامية ووضع البشرية على طريق السعادة ، وقدم بذلك خدمة جليلة دفعت تلميذه الشاعر الروماني ليوكريتيوس إلي أن يعتبر أبيقور "مجد الجنس اليوناني ، وصاحب فضل على البشرية جمعاء ، لأنه طهر قلوبنا بمفردات الحقيقة ، ووضع نهاية للأطماع والمخاوف ، وكشف النقاب عن الخير الأسمى الذي نسعى إليه جميعا ، وعن الطريق الذي يقودنا إليه."[١٥]بل وبلغ به التطرف حداً جعله ينظر إلي أبيقور على أنه إله يجب أن يوضع بين الآلهة.[١٦] فما الذي فعله أبيقور حتى استحق هذه المكانة ؟ كيف تسني له أن يزيل الخوف من الموت من قلوب معاصريه؟ وما هذه الأدلة التي اعتمد عليها في تبديد هذا الخوف؟؟ وهل نجح أبيقور في القضاء على خوف الموت؟ سوف نحاول أن نجيب على هذه الأسئلة ونعرض للموقف الأبيقوري من الخوف من الموت من خلال تناول النقاط التالية:

أ- وهم الخوف من الموت ب- أضرار الخوف من الموت

جـ- الأدلة الأبيقورية على وهم الخوف من الموت د - نقد وتفنيد

وسوف نتحدث عن كل واحدة منها بمزيد من التفصيل:

أ- وهم الخوف من الموت

لم يكن بوسع أبيقور على الإطلاق . ولا كان يخطر بباله أصلاً . أن ينكر حتمية الموت ، أو حتى يزعم أنه وصل إلي تعليل له ، فهو يعرف أنه قدر لا مفر منه ، وعبر عن هذا بلباقة تثير الأسى بقوله "إذا كان بمقدورنا أن نجلب على أنفسنا الأمان من كل المخاطر الأخرى ، فلا نستطيع ذلك مع الموت ،

فهو يهدد كل واحد منا بلا استثناء ، لذلك تسكن الموجودات البشرية مدينة بلا أسوار."[١٧] وقال أيضا الأبيقوري ميتردروس "يكرس بعض الناس حياتهم لتكديس مستلزمات الحياة ، فاشلين في إدراك أن الدواء المعد لنا جميعاً منذ لحظة الميلاد هو عقار الموت."[١٨]ما تنكره الأبيقورية على الإنسانية فحسب أنها وقد علمت بحتمية الموت ، وأنه ليس أمامها سوى حياتها الدنيا ، قد غفلت عن هذه الفرصة الوحيدة المتاحة أمامها للسعادة ، وأقامت مناحة طويلة ، وبهذا تضيع الفرصة الوحيدة المتاحة أمامها للسعادة.

وإذا كان هدف أبيقور الفلسفي . كما رأينا . أن يعلم الآخرين كيف يصيروا سعداء ، فقد أمن بأن البشر ينبغي عليهم لتحقيق ذلك أن يتحرروا من مخاوفهم ، وعلى رأسها الخوف من الموت، وأن يتعلموا التحكم في رغباتهم. إنه يدعو الإنسان أن يفيق من أوهامه ، وأن ينهل من مورد السعادة المتاح له أقصى ما يستطيع ، فلا حياة بعد الموت ، وأحمق ذلك الإنسان الذي يضيع الفرصة الوحيدة التي أمامه للسعادة ، ويمنى نفسه أو حتى يخيفها بأشياء لا وجود لها أصلا إلا في ذهنه. وردد أبيقور كثيراً أن الموت لا يعنينا في شيء ، ولا يجب أن يثير أي خوف لدينا.[١٩] بل يجب أن ننشغل بالحياة الدنيا وحدها ، حيث قال " عود نفسك على الاعتقاد في أن الموت لا يعنينا في شيء ، والمعرفة الصحيحة بالحقيقة القائلة إن الموت لا يعنينا في شيء تجعل عملية انتهاء الحياة أمراً ممتعاً لنا، ليس لأنها تضيف إلي عمرنا عمراً آخر لا حدود له، وإنما لأنها تحررنا من الحنين إلي الخلود."[٢٠]ويقول أيضا "تذكروا أنكم كائنات فانية ، ولديكم عمر قصير لتعيشوه ، ومع ذلك شغلتم أنفسكم بمناقشات حول حقيقة الحياة والخلود ، وقد رأيتم أن الأشياء التي تحدث الآن وتحدث لي ، تأتي ثم تذهب دون أن تنتظر."[٢١]أما الخلود فأمر مستحيل على البشر في رأي أبيقور ، وليس أمام البشر سوى الحياة الدنيا ، وحتى لو كان الخلود ممكناً فلن تتيح الحياة الخالدة فرصة أكبر لأي سعادة أعظم من تلك التي تتيحها الحياة الدنيا،

ويجعل الفهم العقلاني للسعادة والحقيقة القائلة أن أسمى لذة ممكنة هنا والآن في هذه الحياة، لذة لا يمكن التفوق عليها حتى لو عاش المرء إلي الأبد، يجعلها حقيقة واضحة بذاتها.[٢٢]

وقد أيد ليوكريتيوس أستاذه بشدة في الدعوى إلي طرح الخوف من الموت جانباً، حيث اعتبر أن في الموت راحة أبدية للإنسان خالية من الآلام والاشتهاء. ويتسأل مستنكراً " أين هي هذه المرارة التي تزعموها في هذا النوم الطويل؟! لو كان للطبيعة صوت تنهر به وتزجر لقالت لكم : ما كل هذا الضجيج الذي تثيرونه لأنكم بشر فانين؟! إنه إذا كانت الحياة التي عشتموها طويلاً حياة سارة ، واستمتعتم بكل شيء فيها ، فلماذا لا ترحلوا راشدين كأي ضيف مكث في الضيافة فترة كافية؟!! يا لكم من حمقى! استمتعوا بالراحة اللطيفة في عقل خالي رصين ، إنكم مهما أضفتم إلي الحياة فإن هذه الإضافة سوف تنتهي حتما بدورها وأنتم على صورة أسوأ مما أنتم عليه الآن."[٢٣] ويعلق ليوكريتيوس على كلام الطبيعة هذا بقوله " ما الذي يمكننا أن نرد به عليها سوى أنها تنطق بالحق." وقد سيطر عليه الطموح أن يكشف للإنسان الطريق الذي يستطيع أن يزيل من خلاله الخوف والإحساس بالانكسار المقترن بالحياة نفسها عند التأمل في الموت ، وأن يأخذ بيده إلي وضع شبيه بوضع الآلهة غير المنزعجة بالتغير ، والفاهمة والمسلمة بطرق سير الطبيعة.[٢٤]

لا يمثل الموت شيئاً لدى الأبيقوريين ، فلا يخافونه أو يكرهونه ، بل ولا يرون في الموت تعاسة للميت ، ويعتقدون أن الموت لا يكون شيئاً سيئاً للميت أكثر من كون عدم الوجود سيئاً لذلك الذي لم يولد بعد. لذلك اعتبر الأبيقوريون من يخاف الموت إنساناً أحمقاً يتفوه بحماقات ، إذ يدفعه خوفه هذا إلي القول بأنه كان من الأفضل ألا نولد، أو القول بأننا طالما ولدنا يجب أن نسرع الخطى للفرار من الحياة ، أحمق في كل هذا لأن "الفهم الصحيح للرغبات يمكننا من أن نوظف كل اختيار وتجنب لأجل صحة الجسم ، وحرية النفس من التوتر ،

فنسخر من الموت ولا نخافه طالما أن هذا هو الهدف من الحياة السعيدة.[٢٥] فلا يخاف الأبيقوري من الموت ، وفي ذات الوقت لا يكره الحياة. فلا الإيمان بالحياة يهنيه ، ولا انعدامها يمثل شراً له. فكما أن الناس يفضلون الطعام ليس الأكثر حجماً وإنما الأعظم إمتاعاً ، كذلك يسعى الحكيم إلى الاستمتاع بالوقت الأعظم إسعاداً وليس بالوقت الأكثر طولاً.[٢٦]فلا يجب أن يحيل الإنسان الحياة الوحيدة المتاحة لديه إلي جحيم بأن يقع فريسة لخوف خيالي من شيء لا وجود له . بل ويعتبر أبيقور الخوف من الموت من الأساطير التي اصطنعتها السلطات السياسية لترسيخ أقدام حكمها المستبد ، ومنع العامة من الثورة عليها لتحسين أحوالها. وغذى هذا الوهم رجال الدين وربطوه بخرافة أخرى هي الحساب والعذاب الأخروي ليضمنوا لجوء الناس إليهم للاستعانة برقيهم وتعاويذهم السحرية لإبعاد هذه المخاوف عنهم ، مما يزيد من ثروات رجال الدين وأملاكهم. فصاح أبيقور في معاصريه "أيها الحمقى لمَ تفزعوا مما لا يمكن أن يمسسكم بسوء على الإطلاق؟!" وكرر تلميذه ليوكريتيوس نفس النداء موصياً بأن يتقبل الإنسان الموت على أنه لا يمثل شيئاً حيث قال " إنه لينطق لغواً ذلك الذي يقول إنه يخاف الموت ، ليس لأن هذا الأخير سوف يسبب ألماً عندما يهجم عليه، وإنما لأنه يؤلم في تصور حدوثه تصوراً مسبقاً ، وذلك لأنه من التفاهة أن تشعر بالألم بشكل مسبق من شيء عندما يحدث لك أصلاً لن يسبب ألماً."[٢٧]

كانت الرسالة التي ود أبيقور أن يوصلها إلي الإنسانية هي أن يد الموت البيضاء تقودنا بلطف إلي نوم لذيذ لا تعكر صفوه الأحلام ، ولا الكوابيس المزعجة ، فلنستمتع إذن بحياتنا الحاضرة وكأنها رقصة فانية في وضح النهار بين لحظتين خالدتين من النوم اللذيذ.[٢٨] وجسد أبيقور نفسه هذا الارتياح من الموت ، وعدم الفزع منه خير تجسيد وهو على فراش الموت ، عندما كتب إلي أحد تلاميذه واصفاً يوم احتضاره بأنه اليوم السعيد ، وأنه لا يشعر بأي خوف أو

فزع من الموت ، وكل ما يفعله أنه يستعيد ذكريات الصداقة الجميلة التي بينهما.[٢٩] لقد كانت النظرة التي يعتنقها الأبيقوري إلي الموت هي نظرة اللامبالاة ، فلم يكن الموت عنده خيراً أو شراً ، بل كان غير ذي أهمية فحسب ، وهي نفس النظرة التي نظر بها إليه جان بول سارتر في وقتنا الحاضر.[٣٠]

غير أن دعوى الأبيقورية إلي نبذ الخوف من الموت باعتباره وهماً زائفاً لا تعني أن الأبيقورية تحبذ طلب الموت وتمنيه ، وتبغض الحياة . حيث ذكر "سينكا" أن أبيقور ازدرى أولئك الذين يتمنون الموت بدرجة لا تقل عن احتقاره للذين يخافونه حيث قال " من السخافة أن تسعى إلي الموت لأنك تخشى الحياة ." ويقول أيضا "يا له من سخف أن تسعى إلي الموت عندما جعلت حياتك الشخصية مكدرة بالخوف منه."[٣١] أما الحياة فقد كانت لها قيمة ذاتية عظيمة لدى الأبيقورية لأنها فرصتنا الوحيدة التي نملكها لبلوغ السعادة يقول ميترودروس الأبيقوري " لقد توقعتك أيها القدر ، وتحصنت في مواجهة هجماتك السرية جميعاً ، ولكن حينما يحين أوان رحيلنا فإننا سنرحل عن الحياة باصقين احتقاراً عليها ، وعلى أولئك الذين يتشبثون عبثاً بها ، مرددين في أنشودة انتصار مجيد أننا قد عشنا حياة طيبة."[٣٢]

إنه طالما ليس بوسعنا أن نقهر الموت، فلا أقل من أن نقهر الخوف منه في النفوس، فالشعور ينعدم بعده ، والموتى في راحة أبدية. وليس هناك عقاب أخروي ينتظرنا ، فلمَ الخوف إذن من الموت؟؟ ولمَ تغتم على جثة هامدة لا تشعر بشيء على الإطلاق؟ إن حياتك ما هي إلا لحظة حلم بين نومين طويلين ، ومهما كان النوم الذي سيعقب الموت طويلاً فلن يكن مملاً أبداً . ففي نوم كهذا لا تعي حتى ذاتك نفسها، ونفسك الميتة لن تكون لها أية علاقة بنفسك التي كانت على قيد الحياة، ولن تهتم برغباتك السابقة ، ولن تأسف على آمالك التي لم تتحقق . فما الموت سوى الحارس المحب الذي يوقع الإذن بإطلاق سراحنا من العالم الذي نعيش فيه . إنه الطبيب الرقيق الذي يشفينا من اشد

الأمراض فتكاً ، وأعني به مرض الحياة.[٣٣]يقول ليوكريتيوس "سوف ترقد ولن تستيقظ ثانية أبداً، وعندما تفارق الحياة تتخلى عن ألمك العنيف ، وأسوأ ما يمكن أن يحل بك . إذا أصاب التقدير . هو سبات عميق وليل طويل طيب."[٣٤] ويتفق مع الأبيقورية في ذلك "إبكتيتوس الرواقي" حيث يرى أن الموت ليس شيئاً مفزعاً ، وإنما يكمن الفزع في مفهومنا عن الموت ، فليس الموت أو الألم الشيء المخيف ، وإنما خشية الألم أو الموت."[٣٥]

ولكن إذا كانت الأبيقورية تدعونا هكذا إلي أن نسقط ونمحو هذا الخوف من الموت من قاموس حياتنا كشرط أساسي لتحقيق السعادة ، وكانت بكل هذه الحرارة والصدق في دعوتها ، فإن المنطق يقتضينا أن نسأل عن الدوافع التي دفعتها إلي ذلك. لاشك أنها فعلت ذلك لما أحسته من أثار مدمرة لهذا الخوف على الحياة البشرية ، لقد فطنت إلي أن هذا الخوف هو المسئول الأكبر عن الكآبة التي تحجب بظلالها السعادة عن معاصريهم ، فماذا كانت الآثار التي تركها الخوف من الموت على معاصري الأبيقورية ؟

ب . أضرار الخوف من الموت

أرادت الأبيقورية أن تعالج البشرية من أسقامها وكآبتها ، فقامت بتشخيص الداء وهو المخاوف ، ووصفت العلاج بأنه بالقضاء على هذه المخاوف وبيان سخافتها. وكان عليها بعد ذلك أن تحدد الأضرار التي لحقت بالبشرية من جراء ذلك. وتحديد هذه الأضرار جزء شديد الأهمية في العلاج الأبيقوري، لأنه بكشفها لهذه الأضرار تريد أن تظهر أن آثار الخوف من الموت من السوء والشمولية مما يعطينا المبرر للتخلص من هذا الخوف.

نادت الأبيقورية بأن الخوف من الموت يلقي بظلال كثيفة من اليأس على الحياة، إنه العلة الأساسية لكثير من الشرور البشرية السيئة. ونجد لدى ليوكريتيوس تحليلاً نفسياً فريداً . يعود حتما إلي المعلم . لأضرار الخوف من

الموت ، حيث نسب إليه أصل بعض الشهوات شديدة الخطورة: كالطمع والشره. ففي محاولتنا لتفادي طوارئ الموت نكدس الأموال ، ونجمع المناصب ، ونتكالب على الشهوات أملا في أن تجلب لنا هذه الأشياء الاطمئنان ، مع أنها عمليات انحراف وتضليل لا تفيد في شيء. فالحكمة هي وحدها القادرة على أن توفر لنا ذلك. ومهمة الفلسفة أن تزيل هذه الأوهام التي منها ينبع التوتر المسيطر على النفس، ولذلك اعتبر أبيقور الخوف من الموت أعظم الشرور حيث أنه أكثرها إثارة للرعب.[٣٦] وفي لهجة أعنف قال ليوكريتيوس "ينبغي يا أخيرونAcheron أن يُحارب ذلك الخوف من غير تردد، ذلك الخوف الذي يهز الموجود البشري من أعماق أعماقه، مغرقاً كل شيء بوشاح الموت الأسود، ولا يترك لذة خالية نقية."[٣٧]

وقد حصر ليوكريتيوس أضرار الخوف من الموت في أربعة أضرار: **الأول:** أنه هو الذي يقود البشر إلي الخضوع للمعتقدات والسلطات الدينية الوهمية.[٣٨] مؤكداً على أن المعتقد الديني معتقد وهمي لا عقلاني مقام على تصورات لا أساس لها حول الآلهة والنفس، معتقد سيئ لأنه يصرفنا عن الحكم العقلي ويجعلنا نعتمد على رجال الدين المشعوذين والذين بدورهم قد زكوا هذا الخوف في النفوس، وقرنوه بالحساب الأخروي وعمليات التطهير بالرقي والتعاويذ مما عاد عليهم بمنافع مادية هائلة، وسلب في المقابل من البشر حريتهم وأمنهم النفسي.[٣٩] لقد استغل رجال الدين ذلك الخوف وسخروه لاستغلال المجتمعات وابتزازها تحت مبرر مساعدة الإنسان على قهر الموت من خلال الحياة الأخروية وتحقيق السعادة الأبدية. ومن ثم جعل الدين علاقتنا بموتنا أكثر سوءاً مما كانت عليه . بل وملأنا بالفزع من الحياة الأخروية ، وتسبب في جعلنا أضعف بكثير مما كنا عليه.[٤٠]

لقد ضخم الدين من هول الخوف من الموت، وفي محاولة عابثة منه للتخفيف منه زرع الاعتقاد الخرافي الخطير في الخلود الشخصي ، مستغلاً ما

لدى البشر من حب فطري للخلود. وكم كانت سخرية ليوكريتيوس لاذعة عندما قال "وحتى لو كان بمقدور الزمن أن يجمع أجسامنا بعد الموت ، ويضعها مرة ثانية في بناء مركب كالذي هي عليه الآن، وإذا كان من الممكن أن يبث فينا نور الحياة مرة أخرى فإن هذه النتيجة لا تمثل أية أهمية لنا على الإطلاق طالما أن سلسلة الشعور بالذات سوف تتبعثر أشتاتاً."[٤١] وينتهي ليوكريتيوس إلي أن الفناء هو قدر البشر وأنه أمر لا يجب النوح عليه، بل يمكن اعتباره ذا فائدة تتمثل في اختفاء الحنين إلي الخلود والسعي وراءه ، ذلك السعي الذي يسبب دائماً الخوف من العقاب الأخروي.

لا يُدان الدين عند الأبيقورية فحسب بأنه كاذب ومناقض للعقل ، بل وأيضا يُدان لأنه يجعلنا نكره أفعالنا البشرية، ويفرض صوراً متنوعة من الأفعال المنحلة التي تزيد من الخوف من الآلهة وبالتالي من الاعتماد على رجال الدين. أخطر ما في الأمر أن الخوف من الموت بث في النفوس الشعور بالنقص والضعف عندما يقارن البشر أنفسهم بالآلهة التي تعيش أفضل لأنها تحيا بدون هذا الخوف،[٤٢] لذلك اهتمت الأبيقورية في علاجها للخوف من الموت بمقاومة الاتجاه نحو الدين ، وذلك بأن بثت في الإنسان حباً لما في الحياة البشرية من هشاشة وقصر، حباً لكل القيود والمحددات التي تفصله عن الآلهة ، جاعلة من الممكن لنا أن نعيش في سعادة كاملة على الأرض.

الثاني: للخوف من الموت ضرر أخر هو أنه يتعارض مع عملية الاستمتاع بتلك الملذات الدنيوية التي تنتهي بانقضاء الحياة البشرية. وقد أكد أبيقور كما رأينا أنفاً على ضرورة أن نزيل هذا الخوف لأجل جعل محدودية الحياة وفناءها أمراً ممتعاً. في حين اعتبر ليوكريتيوس أن هذا الخوف يتعارض مع الحياة من أساسها إلي قمتها. فلا يترك نشاطاً فيها إلا وشوشه ، ويقود الناس إلي اليأس والسأم من الحياة ومن أعمالهم فيها طالما أنها لا تشبع عطشهم إلي الخلود، يقول "يسيطر على الناس بسبب هذا الخوف غالباً نفور من الحياة ، ويأس من

رؤية ضوء في نهاية النفق ، لدرجة أنهم . وفي نوبة الضيق هذه . يرتكبون فعل الانتحار، غافلون عن أن هذا الخوف هو المصدر لما لديهم من إحباط.[٤٣]

الثالث: من أضرار الخوف من الموت أنه يقود إلي نوع من النشاط المسعور الذي لا يهدأ ولا يرتوي ، وبلا هدف سوى الهروب من ذات المرء ومن وضعه المتناهي في العالم.[٤٤] ويتمثل هذا النشاط في عدد كبير من السلوكيات التدميرية للذات، أو للآخرين مثل: التكديس الشره للمال، والذي يجعل مالكه يشعر أنه بذلك يبتعد كثيراً عن الموت، طالما أن الفقر والعوز انزلاق نحو الموت ، وكذلك التعطش الأعمى إلي السلطة والنفوذ، الطمع، والحسد ..الخ[٤٥] ذلك لأن الشره الأجوف إلي السلطة شره لا ينتهي ولا يرتوي أبداً، لأن الاحتفاظ الدائم بالسلطة أمر غير ممكن . بل أن الرغبات والمساعي الناتجة من هذا الأسلوب من الحياة تحدث تلفاً عاماً وعدم استقرار مما يسهم في تدمير هذه المطامع.[٤٦] وكلها سلوكيات منحرفة مدمرة ، ولولا الخوف من الموت والذي ينشأ من الخوف من العذاب الأخروي الأبدي في الجحيم ما ظهرت هذه السلوكيات المنحرفة.[٤٧]

الرابع : وهناك ضرر باطني نفسي وهو أن الخوف من الموت في رأي أبيقور . حسبما يروي شيشرون . يدمر هدوء الإنسان العقلي ، واتزانه النفسي ، بل ويهدم داخله حتى معنى الحياة ، فيجعله يستسلم للألم بقنوط ويأس وهو عاجز حقير . بل أن هذا الضعف يدفع كثير من الناس إلي تدمير أنفسهم، وخيانة والديهم وأصدقائهم ، ويدفع بالبعض الأخر إلي خيانة وطنهم، في حين نجد أن النفس القوية على الجانب الأخر خالية تماماً من التوتر والآسي.[٤٨]وأكد ليوكريتيوس بدوره على نفس هذا الضرر حيث ذهب إلي أنه يقود إلي الشح الأعمى والطمع ، مما يدفع الناس إلي الخروج على جادة الصواب فيصبحوا مقترفين للجريمة، أو محرضين عليها. وغالباً ما يُجبر الناس بسببه إلي أن يقرروا نهايتهم بأيديهم، وذلك بانكسار قلب، ناسين أن هذا الخوف هو الذي يسبب أمراضهم ، ويسلبهم احترامهم لأنفسهم.[٤٩] وإذا كان الخوف من الموت يقودنا إلي هذه الأفعال

الحمقاء العبثية فإننا عندما نستطيع قهره سوف يغدو قدراً كبيراً من أمور حياتنا أكثر عقلانية وأوفر سعادة.

لقد اعتقد أبيقور أن تكالبنا المدمر على الشهرة ، وما نتكبده من توتر وضغط لا حد له في تحصين أنفسنا بمتع مكدسة عديمة القيمة ، وتملقنا المهين لأناس لا نشعر نحوهم بأي احترام ، كل هذه المهانات أعمال وقائية متوهمة ضد المخاطر التي يجلبها الموت مع أنه أساس لها.[٥٠] وليت الأمر يتوقف عند هذا بل أن هذه السلوكيات الشريرة كثيراً ما تقترن بشعور باطني بالضياع واليأس مما يحرم هؤلاء الناس من الاستمتاع الخالص ، بل يشعرون بهم ثقيل ، أو بجبل من التعاسة جاسم على صدورهم ، وفي محاولة منهم للخروج من هذا الوضع الثقيل يشعرون أنه ينبغي عليهم . كما يقول ليوكريتيوس . أن يبذلوا ما في وسعهم للتخلص من هذا العبء إما بواسطة الجريمة ، أو بواسطة دوران مدمر حول أشكال من اللهو الباطل، أو من خلال النوم والنسيان.[٥١]

غير أن لنا تعليقاً على تصور الأبيقورية لأضرار الخوف من الموت ، إذ أننا لا نتفق معها على أن هذا الخوف دائماً ما يقود إلي أضرار مدمرة وحماقات عظيمة. ففي بعض الأحيان قد يقودنا إلي عمل أشياء مفيدة . يكفي أن نعرف أنه لولا خوفنا من الفناء ما ابتدعنا علوم الفلك والبيولوجيا والطب وعلم النفس. وهل كان من الممكن أن يتكون لدينا مفهوم الحاجة البيولوجية التي يمر بها الإنسان بشكل سيكولوجي دون مفهوم الخوف الذي يصاحب إحباط ما هو محتاج إليه من أجل البقاء؟ إن كائناً قادراً على تأمل ما تعنيه الحاجة بوصفها إشارة إلي ضرورة جسدية للبقاء، كائن لديه . كما يقول البعض . ضمنياً الفكرة المتعلقة بموته.[٥٢] ومن حسنات الخوف من الموت أيضا أنه يقودنا إلي حفظ الذات وحمايتها، لأنه يدفعنا إلي التصرفات الحذرة المحتاطة نحو ذواتنا ونحو الآخرين، مثلما تقودنا تماماً القدرة على الشعور بالألم إلي تصرفات نتحاشى بها

الآلام الجسدية ، وحفظ الذات هذا هو الذي قادنا إلي تشكيل الجمعيات السياسية والصدقة والروابط الأسرية.[٥٣]

جـ. الأدلة الأبيقورية على وهم الخوف من الموت

أمنت الأبيقورية كما رأينا بأن الخوف من الموت الذي يسيطر على رقاب البشر خوف لا مبرر له، بل من ابتداع العقل البشري وحده. ولو كانت الأبيقورية قد نادت بذلك دون أن تقدم أدلة عقلية عليه تقنع بها معاصريها لكان كلامها مجرد شعارات جوفاء ، ولكنها لم تتوقف عند هذا الحد ، بل قامت بتقديم أدلة عديدة على صحة موقفها. غير أنها قدمت قبل ذلك عرضاً للأسباب التي تجعل البشر يشعرون بهذا الفزع الرهيب من الموت ، إيماناً منها بأنها لو أمكن لها أن تثبت تهافت هذه الأسباب تكون قد برهنت عقلياً على صدق موقفها. ووجدت الأبيقورية أن هذه الأسباب تتمثل في: القلق من عيش حياة تعيسة في الآخرة ، والتعرض للعذاب الشديد هناك. والفزع الشديد من الآلام التي يُعتقد أنها تصاحب الموت وتعتصر الفريسة لحظة خروج الروح ، والخوف من حساب الآلهة على شرورنا وتقصيرنا. وأخيراً الخوف من الموت المفاجئ على مشاريعنا المستقبلية، حيث أنه قد يأتي قبل أن نكون قد أنجزنا أحلامنا.

قامت الأبيقورية بوضع رد عقلاني يثبت تهافت كل سبب من الأسباب السابقة للخوف من الموت ، وسوف نتناول أدلتها بشيء من الإيضاح:

١- عدم وجود متعرض لضرر الموت

يقوم الأبيقوريون هنا بالرد على السبب الأول الذي يقف خلف الخوف من الموت، والمتمثل في القلق من عيش حياة معذبة في الآخرة. وقد أكدوا على أنه لا يجب أن يعنينا الموت في شيء، إذ بعد موتنا سوف يتلاشى وجودنا تماما ولن يعد لنا وجود أو إحساس حتى نشعر بالعذاب الذي يعقب الموت، إن كان

لهذا العذاب وجود أصلاً. إن الموت يمثل نهاية لوجود الإنسان، فكيف نخاف من شيء عندما يأتي لن نعد موجودين حتى نشعر بالعذاب الذي يعقبه؟!!

يعتمد هذا البرهان على ما يسمى "شرط الوجود" The Existence condition الذي يقول إنه لا يمكن أن يحل شيء شرير بأحد في زمن ما، ما لم يكن هذا الشخص موجوداً في هذا الزمن.[٥٤] ويعتمد أبيقور في تأكيده على فناء الإنسان عقب الموت على فلسفته الذرية المادية، ونظريته في المعرفة ، حيث نراه يؤكد . متأثراً في ذلك بديمقريطس . على أن الموت لا يعنينا في شيء لأن هذا الذي يتحلل إلي عناصره الأولي (الذرات المادية) لا يمر بخبرة أي إحساسات، وهذا الذي لا يُحس به في أي إحساس لا يهمنا في شيء.[٥٥] وإذا كان الموت انعداماً للإحساس فكيف نخاف من العذاب الذي قد يعقبه في الآخرة؟ وأكد على نفس الدليل في رسالته إلي مينيسي فقال "لا يمثل الموت لنا شيئاً، لأننا ونحن على قيد الحياة فالموت لا يوجد معنا ، وعندما يأتي الموت لن نعد هناك موجودين بعد، فهو لا يهم الحي ولا الميت. طالما أنه بالنسبة للأول لا يوجد ، وبالنسبة للأخير لن يعد الشخص نفسه موجوداً حتى يشعر بالعذاب.[٥٦] وأكد أبيقور على مادية النفس وذريتها، فهي عنده بناء مادي مؤلف من ذرات لطيفة مادية منتشرة في الجسم كله، وتتبعثر ذراتها عقب الموت ولا تعود أبداً إلي سابق عهدها. مما يدل على أن الشخص عقب موته لن يكن له وجود، أو لنفسه حتى يشعر بالنعيم أو العذاب الأخروي.[٥٧]

إنه لكي يغدو الموت شراً للشخص الذي يموت فلابد من وجود هذا الشخص حتى يتعرض للشر. لكن هذا الميت يختفي من الوجود بعد الموت لأنه وهو لا يزال حياً لن يعاني بالطبع من شر الموت ، وعندما يموت لن يكن هناك موجوداً ليحس لا بالنعيم في الجنة ، أو بالجحيم في النار. لذلك كانت الدعوى التي تزعم أن الموت يمثل شراً للميت دعوى ليست باطلة فحسب ، بل وضارة أيضاً في نظر أبيقور.[٥٨] إنه يؤمن بأن الموت انعدام كلي ودائم للإحساس، وبالتالي

فناء للشخص المتعرض له. ولما كنا لا نعرف الخير من الشر إلا من خلال الإحساس . وفقا لأبستيمولوجيا أبيقور . والموت هو فقدان دائم للإحساس، فيجب ألا نخاف الموت.

دافع ليوكريتيوس بشدة عن هذا الدليل فقد كتب أكثر من أربعمائة بيت تضمنت أكثر من خمسة وعشرين برهاناً لإثبات أن النفس فانية، وبالتالي غير قادرة على تذوق أي نوع من الحياة بعد الموت.[٥٩] كما أكد على أن العقل أيضا مادة فانية تفنى بحدوث الموت. فكما أنه عندما غزا القرطاجنيون بلاد اليونان قبل أن نولد لم نصب بأي ضرر، كذلك الأمر عندما نموت تتفرق ذرات أجسامنا وأنفسنا إرباً، وعند هذه اللحظة لا يمكن أن يحدث لنا أي شيء. فلا شيء سوف تكون له القدرة أيا كان على التأثير علينا. حتى لو حدث وانطبقت السماء على الأرض.[٦٠] ولا يتوقف ليوكريتيوس هنا كما توقف أستاذه، بل يواصل التدليل فيقرر أنه لو إفترضنا جدلاً أنه سوف يتم تجميع ذرات النفس والعقل عقب الموت، وأعاد الزمن إلينا نور الحياة مرة ثانية، فإن الموت أيضاً لا يعنينا في شيء على الإطلاق طالما أن حبل التذكر سوف ينقطع، كما أن الذي يؤثر علينا هو الذي يحدث لنا ونحن جسم ونفس، وليس عقل فقط. فإذا كنا الآن في حياتنا الراهنة لا نتذكر ما كانت عليه ذراتنا قبل أن نولد، فلا يجب أن نزعج أنفسنا بما سوف يفعله الزمن بمادتنا في المستقبل.[٦١] يسفه ليوكريتيوس إذن أولئك الذين يعتقدون في الحساب الأخروي فيقول "إن الرجل الذي يتخيل أن النسور سوف تلتهمه في الآخرة، أو أن الحيوانات المفترسة سوف تمزقه إرباً بعد الموت، فتأخذه الشفقة على نفسه من ويلات الموت، رجل لا يفرق التفرقة الصحيحة بين نفسه وبين جثته، متخيلاً ذاتاً ثانية حية أخرى لديها إحساس ، فينوح على أنه مخلوق فاني. ورغم أنه في الموت لن تكون هناك ذات ثانية لتحزن على أن الأولي قد ماتت، أو حتى تشاهد هذه الأولي وهي تُعذب وتُحرق في الجحيم.[٦٢]وقد اثني هيجل كثيراً على هذا الدليل ووصفه بأنه رأي صادق

تماما، وفكرة مليئة بالمعنى، تقصي الخوف بعيداً ، وذلك لأن الحرمان الذي يمثله الموت لا يمكن القضاء عليه بإطالة الحياة، لأن المستقبل لا سلطة لنا عليه، ولا ندري أهو في صفنا أم لا.[٦٣]

إنه لمن التفاهة أن نشعر بالألم والخوف بشكل مسبق من شيء عندما يحدث لن يسبب ألماً أصلاً على حد قول ليوكريتيوس، إننا عند الموت سوف نكون في راحة دائمة مثلما كنا قبل أن نولد، سوف نكون في راحة الرقاد الأبدي. ويشير ليوكريتيوس إلي حقيقة تدل على أن الموت هو الفناء التام وانعدام للإحساس ، وتتمثل هذه الحقيقة في الطقوس الجنائزية التي اعتادت الشعوب المختلفة أن تفعلها مع الموتى، فالهنود مثلاً يحرقون جثث الموتى، والفرس يتركونها في العراء لكي تلتهمها الحيوانات المفترسة، والمصريون يحنطون الموتى، ومثل هذه الأفعال سوف تغدو سفيهة وغير لائقة ، فيها تعذيب للموتى لا يستحقونه على يد ذويهم لو كان الموت لا يعني انعدام الإحساس، ولكنها طقوس مقدسة منذ القدم. فالموت هو الفناء التام.[٦٤] وقد ساق البعض البرهان الأبيقوري السابق في القضايا التالية:

١- لا يمكن لحدث أن يغدو خيراً أو شراً لشخص إلا فحسب في الوقت الذي يكون الحدث فيه حاضراً، والشخص المتعرض له موجوداً، ولديه الحد الأدنى من الإحساس الذي يجعله يشعر بالحدث.

٢- الوقت الذي يعقب موت الشخص هو الوقت الذي لا يوجد فيه الشخص كمتعرض للتجربة الحسية المحتملة.

٣- ومن هنا فإن ظرف أن يصير المرء ميتاً، لا يكون ظرفاً سيئاً له.

٤- من غير المعقول الخوف من حدث مستقبلي إذا لم يكن الحدث عند وقوعه سوف يكون سيئاً للفرد.

٥- من غير المعقول الخوف من الموت.[٦٥]

أما الخوف الذي يعترينا من سكرات الموت، وما يصاحبه من آلام فأمر لا

يتعرض له البرهان السابق، بل يتعرض له برهان آخر ساقه ليوكريتيوس، وإن كان السرور الذي يبديه أبيقور نفسه وهو في لحظة الاحتضار لأكبر دليل على أن أبيقور آمن بأمن عملية الاحتضار حتى وإن كانت مؤلمة فهي ليست موضوعاً جديراً بالخوف. وقد أكد ليوكريتيوس على أن الخوف من الاحتضار خوف لا أساس له، لأن الموت يقبل سريعاً وعلى نحو غير مؤلم.[٦٦] ونحن نشاهد في حالات كثيرة أن عملية الاحتضار لا تستغرق أكثر من ثواني معدودة (مثل الموت الذي يتم في الحوادث) فكيف تكون هذه الثواني السريعة مؤلمة لنا وبعدها نخلد إلي النوم الأبدي اللذيذ؟ لا شيء مؤلم في عملية الاحتضار، ولا وجود لسكرات الموت لدى الأبيقورية. بل أنها تذهب إلي أن عملية الموت قد تكون موضع ترحيب باعتبارها تضع النهاية للألم الجسمي، كما أن تأمل فناءنا يجلب الهدوء النفسي، حيث يقرر "أن المعرفة الصحيحة بالحقيقة القائلة إن الموت لا يعنينا في شيء تجعل عملية انتهاء الحياة أمراً ممتعاً لنا، ليس لأنها تضيف إلي عمرنا عمراً آخر لا حدود له ، وإنما لأنها تحررنا من ألم الحنين إلي الخلود.[٦٧]

فإذا كان الموت بهذا الشكل لدى الأبيقورية ، وأنه انعدام للإحساس وفناء تام ، فإنها بذلك تنكر الخلود، ولا تؤمن بمراقبة الآلهة لشئون البشر، ومحاسبتهم عليها في الآخرة. حقاً لقد أمنت بوجود الآلهة، ولكنها جعلت هذه الآلهة منشغلة انشغالاً كاملاً بسعادتها، ولا تختلط بالعالم، أو ترعى شئونه، ولا سيطرة لها عليه. ولو كان العالم كذلك لما وجد فيه على الإطلاق النقص الشديد القائم فيه حالياً.[٦٨] ويوجه ليوكريتيوس هذا النداء الساخر إلي البشر" فيا أيها الحمقى المؤمنون بقدرة الآلهة المطلقة، ويا أيها السذج الغافلون عن الحدود والأنساق الدقيقة، تناسوا تماماً هذه التراهات، إنني أطالبكم أن تسقطوا هذه الأفكار غير الجديرة بالآلهة والغريبة عن صفاءها، فهذه إهانة علنية لجلالتها المقدسة."[٦٩] أما أبيقور فقد أنكر بشدة العناية الإلهية واعتبرها زندقة لا تليق.[٧٠] وسخر بشدة من

العناية الإلهية في مقولته " من غير المعقول ما يقال يا ميموس من أن الآلهة قد رتبت الطبيعة بحيث تفيد الإنسان، وأن لها بموجب هذا حق الطاعة والخضوع عليه، إذ ما الفائدة التي تعود عليها من الاعتراف بالجميل من جانب البشر ؟!"[٧١]

فإذا كنا نخاف الموت لخوفنا من العذاب الأخروي، فإن أبيقور يطمئن قلوبنا بإنكار وجود مثل هذا العقاب، بل وإنكار الآخرة نفسها، فالآلهة كما رأينا لا تهتم بأمورنا لا في الدنيا ولا في الآخرة، إنها كما يؤكد : كائنات سعيدة لا تعاني من الهموم ، ولا تجلب الهموم للآخرين.[٧٢] إن الآلهة بعيدة بعداً لا تستطيع معه أن تضركم أو أن تنفعكم. فلا تستطيع أن تراقبكم أو تحكم على أعمالكم، أو أن تقذف بكم إلي الجحيم. أما الآلهة الخبيثة والشياطين فهي أوهام تعسة تصورها لكم أحلامكم كما يقول أبيقور.[٧٣] ويشير ليوكريتيوس إلي أن الحكايات التي تتحدث عن الانتقام الإلهي في الآخرة من اختراع السلطات السياسية لمنع الممارسات المتمردة، ولمنع الفقراء من تحسين نصيبهم. وفي الوقت ذاته من الصعب أن يكون عدلا افتراض أن جهنم هي المشهد الوحيد الذي من الممكن أن يتيحه الخلود أمام البشر، فضلا عن أن العقوبات التي تتوعد بها الخرافات الدينية الأموات ليست في حقيقتها سوى صور لحالات العقاب والانحطاط التي يجلبها الفعل الشرير على الأحياء في الدنيا.[٧٤]

كما يرتبط هذا البرهان القائل بعدم وجود متعرض لضرر الموت بمذهب اللذة الأبيقوري، إذ أن قول الأبيقورية بكمال اللذة في الحياة الدنيا جزء مكمل للبرهان، لأنه يعوض البشر عن التخلي عن الأمل في الاستمتاع بالمتع الأبدية في الآخرة. فما يقضي على الرغبة في الخلود الاقتناع الأبيقوري بإمكانية الحصول الكامل على السعادة في الدنيا. وأكبر دليل على براعة هذا البرهان وحظيه بقبول واسع : تلك المقاومة الشديدة التي لقيها القديس بولس في إقناع أهل كورنثة بأن بعث الموتى وسيلة جديدة للانتصار على الموت.[٧٥] وتأثر بهذا الدليل شيشرون

خاصة في خطبته لرثاء أحد أصدقائه أمام مجلس الشيوخ في روما حيث قال " أي أذى من الممكن أن يلحقه به الموت ؟ إننا نرفض كل الخرافات الحمقاء عن العوالم السفلية، فمن أي شيء إذن حرمه الموت؟! لم يحرمه من شيء سوى المعاناة."[٧٦] وردد المتكلم الإسلامي الكبير ابن مسكويه ١٠٣٠م هذا الدليل مخففاً من آلام الموت، ومحاولاً إقناعنا بعدم إمكانية شعورنا بهذه الآلام لأن الموت ليس أكثر من ترك النفس استعمال آلاتها وهي الأعضاء التي مجموعها يسمى الجسد.[٧٧]

٣- برهان الاتساق The symmetry Argument

يعتمد هذا البرهان على فكرة تطابق الماضي مع المستقبل. وقد قال به ضد الخوف من الموت ليوكريتيوس وحده. حيث قرر أنه يجب على أي امرئ يخاف الموت أن يتأمل الوقت السابق على مولده، وذلك لأن انعدام الوجود السابق على الميلاد مماثل لانعدام الوجود المستقبلي اللانهائي التالي على الموت. ولما كان انعدام الوجود الأول أمراً غير مفزع لنا، فلا ينبغي بالمثل أن نعتبر العدم التالي على موتنا أمراً سيئاً لنا. وكأن الطبيعة قد وضعت بذلك أمامنا مرآة نرى فيها الشاكلة التي سوف يكون عليها فناءنا المستقبلي. وضرب ليوكريتيوس على ذلك مثلاً هو الحروب التي شنها القرطاجنيون على بلاد اليونان قبل عصره بسنوات طويلة، وعاثوا في البلاد فساداً فيقول " لما كنا لم نشعر بأي ضرر بذلك لأننا ببساطة لم نكن قد ولدنا بعد، فالأمر بالمثل عندما نموت، فعندما نفني لن يكون بمقدور أي شيء أن يضرنا أو يؤثر فينا على الإطلاق."[٧٨]

يسوق ليوكريتيوس هنا برهاناً منطقياً يكون بناؤه على النحو التالي: لو كان الموت أو أي حدث تالي على وفاة صاحبهPost-mortem event يضرنا، فإنه يفعل ذلك إما قبل الموت ، أو بعده ، والخيار الأول يبدو سخيفاً، لذا من المحتم أن الضرر يقع بينما نكون موتى ، ولكن لكي يُؤذى شخص ما لابد أن يكون الحدث في موضع كره منه، ولما كان الموتى غير أحياء، فإنهم لا يكونوا

في أي وضع على الإطلاق، فلا يجب أن نخاف من ضرر الموت الذي لا وجود له.[٧٩] وتعتمد الأبيقورية هنا على ما يسمى لغز التوقيت[٨٠] The timing Puzzle ونعني به عدم وجود وقت محدد نستطيع أن نقول أن الموت يضرنا فيه. لذلك فالموت لا يضرنا أبداً. ويتمثل رأي أبيقور في أنه لو كان الموت شراً لنا، فمن المحتم أن هناك وقتاً يلحق بنا فيه الأذى، ولا يمكن أن يكون هذا الوقت قبل الموت، لأن هذا معناه أننا نكابد الضرر قبل الموت الذي هو السبب في وقوعه. أي أن المعلول سبق العلة وهذا محال. كما لا يمكن أن يكون هذا الوقت بعد الموت، لأنه من الغرابة القول بأن أناساً غير موجودين يمكن أن يلحقهم ضرر.[٨١] مما يعني أنه لا يمكن لحدث تالي على موت صاحبه أن يؤثر فيه على الإطلاق.

إنه طالما أن الوقت السابق على ميلادنا وقت لا أهمية له عندنا الآن، بمعنى أننا لم نعاني فيه لا من الخير ولا من الشر حتى ولو كانت هناك أشياء خيره أو شريرة عظيمة قد وقعت آنذاك، طالما أننا لم نكن موجودين هناك، فكذلك الوقت التالي على موتنا لا يهمنا بشكل مساو. بالمعنى القائل إنه وقت لا نعاني خلاله من الضرر أو الخير، ولا تهم أي الأحداث سوف تتم فيه، طالما أننا لن نعد موجودين فيه.[٨٢] ويورد ليوكريتيوس في موضع أخر من القصيدة برهاناً شبيهاً للسابق،[٨٣] يذهب فيه إلي أننا لو إفترضنا أن المركب الذري الذي نتألف منه من الممكن أن يجتمع مرة ثانية في المستقبل، فينبغي أن نسلم بأن هذا مماثل بالضبط لما كان مؤلفاً من قبل في الماضي قبل ميلادنا. ولما كنا لا نشعر الآن بأي ألم حول مثل هذه التركيبات الماضية، فكذلك اتحادنا وتآلفنا في المستقبل أمر لا يهمنا.

ويتردد نفس البرهان السابق في محاورة منحولة لأفلاطون تسمى "أكسيوخوس" Axiochus فيها يقوم سقراط بتقديم المواساة إلي الشيخ الطاعن في السن "أكسيوخوس" لخوفه الشديد من الموت المقترب منه في هذه السن

المتقدمة، ضارباً له مثلاً بالأحداث الدرامية العنيفة التي وقعت قبل مولده في أثينا إبان حكم الطاغية كليستنيس Cleisthenes قبل أن يولد كل منه ومن سقراط نفسه أو أي أحد من الحضور، فكما أن هذه الأحداث لم تلحق بأحد من الحاضرين أي ضرر ، فالأمر بالمثل لن يلحق بنا أي ضرر بعد الموت.[٨٤]

٣- الموت لا يشكل حرماناً

إذا كان هناك من يذهب إلي أن الذي يخيفه من الموت ليس خوفه من الحساب الأخروي، ولا خوفه من سكرات الموت وضمة القبر، وإنما لأن الموت سوف يحرمه من إنجاز وإكمال المشاريع التي كان منشغلاً بها طيلة حياته. إذ أنه يأتي فجأة فيحرمه من تربية أولاده، أو من بلوغ المنصب الذي عاش يخطط له، أو من لقاء من يحب.. الخ. ومن ثم فالموت مخيف لنا لأنه يضع نهاية مفاجئة لكل الأشياء العزيزة علينا. فإن الأبيقورية تقوم بالرد على هذا في البرهان الحالي. وقد ذكر هذا الاعتراض "أكسيوخوس" في محاورة أفلاطون السابقة، ورد عليه سقراط نفس الرد الذي سوف تقول به الأبيقورية، مما يؤكد على أن المحاورة كانت من إنتاج التيار الأبيقوري وليس من وضع أفلاطون. حيث رد عليه سقراط بقوله " إنك تعلق أهمية بشكل خاطئ لعملية الحرمان من الطيبات، وعلى إحساس مصاحب لذلك بالأشياء السيئة، ناسياً أنك وأنت ميت لن يؤلمك أن تُحرم من الطيبات لأنك سوف تكون غير موجود، ولن تكون حتى واعياً بالحرمان نفسه."[٨٥]

أما إجابة ليوكريتيوس فجاءت شديدة الشبه بإجابة سقراط السابقة، حيث تذهب إلي أن الحرمان من الطيبات لا يمثل مصدراً للألم إلا فحسب للمرء الذي بامكانه الشعور بألم الحرمان، والموتى لا يشعرون بأي ألم.[٨٦] حقاً قد يعترض معترض على ليوكريتيوس فيقول: إنه لو كانت طيبات الحياة خير للمرء، فإن الاستزادة منها سوف تكون أفضل من الإقلال، ولما كان الموت يحرمني من هذه الاستزادة فمن المحتم أنه شر لي ويجب أن أفزع منه. ولا يعدم ليوكريتيوس

إجابة من جانبه على ذلك، بل ويضع هذه الإجابة على لسان الطبيعة، حيث تقرر بأن اللذة ليست من الأمور القابلة للتراكم والتكديس مثل السلع، وليس صحيحاً أن الإكثار منها هو الأفضل دائماً، فتقول " إذا كانت الحياة التي عشتموها طويلاً حياة سارة، واستمتعتم بكل شيء فيها، فلماذا لا ترحلون كأي ضيف مكث في الضيافة فترة كافية؟ يا لكم من حمقى، استمتعوا بالراحة اللطيفة في عقل خالي رصين.. إنه لأفضل لكم أن تضعوا نهاية للحياة والتعب، فلا يوجد شيء جديد يمكنني أن أضيفه لكم قد يسعدكم، فبقية الحياة تشبه ما سبق."[٨٧] إن ما تريد أن تحثنا عليه الطبيعة هو أن الحياة مثل مأدبة لها تطور طبيعي ، وعند بلوغه النهاية الطبيعية المناسبة، لا يمكن لقيمتها أن تتجاوز ما هو أبعد من ذلك دون فساد هذه القيمة. لذلك لا ينبغي على البشر أن يبقوا في الحياة إلي مالا نهاية طالما أن هذا لن يقود إلا إلي فساد المتعة التي تحصلوا عليها في حياتهم من قبل. لأن التكديس المتوالي للمتع يقود إلي التخمة والضجر.[٨٨] فحب الحياة ليس له نهاية ، ولن يُشبع في يوم من الأيام، والطبيعة دائما ما تطعم عقلاً جاحداً، تغرقه بالطيبات ولكنه لا يشبع قط.

وهناك رواية ذكرها شيشرون تجعل أبيقور نفسه يقول بهذا الدليل، حيث يذهب أبيقور فيها إلي أن الزمن اللامتناهي يحتوي على نفس القدر من اللذة الذي يحتوي عليه الزمن المتناهي، فلا يمكن أن يضيف طول المدة أي شيء إلي الحياة السعيدة ، ولا يزيد الزمان من قدر الخير الأسمى.[٨٩] فإذا استنكرنا من أبيقور ذلك الموقف، وسألناه كيف لا تتزعج على ما يمكن أن يحدث لمن تعزهم بموتك هذا، وكيف لا يمثل انقطاعك عنهم وعن رعايتهم ألماً وضرراً لك ، كانت إجابته تقديم نزعته اللذية كسند لنظريته بعدم وجود حرمان في الموت، إذ أنه استبعد من خلال هذه النزعة كل الرغبات التي من الممكن أن يهددها الموت، وقصر السعادة على مفهوم سلبي هو غياب التعاسة. فلا شيء يهم يقع بعد أن نموت. لقد كان الأبيقوريون محايدين أمام معاناة أطفالهم ، وأمام كل ما

يمكن أن يحدث بعد أن يموتوا.[٩٠] ويمكن سوق البرهان الأبيقوري السابق في النقاط التالية[٩١]:

١- أمر معقول أن ينزعج المرء من حرمانه من وضع معين، طالما أنه سوف يُحرم هنا حرماناً جوهرياً من هذا الوضع، ويدرك أنه لن يعود إليه.

٢- ووضع أن يكون المرء ميتاً لا يماثل وضع أن يكون محروماً حرماناً جوهرياً، فهو لا يتضمن حرماناً، ولا حتى وعياً بأن المرء لن يعود إلي الحياة مرة ثانية.

٣- مغادرة الحياة مخالف لعملية مغادرة الأوضاع الأخرى الطيبة التي تتضمن حرماناً جوهرياً للمرء.

٤- إذن من غير المعقول أن يُزعج المرء بعملية مغادرة وضع الحياة، وأن ينزعج من وضع أن يكون ميتاً.

٤- دليل السكان

قال بهذا الدليل ليوكريتيوس وحده في قصيدته، ووضعه أيضاً على لسان الطبيعة، ويسير على خطوط شديدة الشبه بخطوط البرهان السابق. حيث تلفت الطبيعة فيه النظر إلي أنه لو كانت هناك حالات ولادة فقط ولا تقابلها حالات وفاة، فسوف يصبح العالم لا يطاق. ومن ثم فهناك ضرورة لأن يموت المسن موتاً نهائياً حتى يتمكن الصغير من العيش. إن القاعدة الكونية تقول بأن الجديد يولد على حساب القديم، إذ لا فناء للمادة بل يُحتاج إليها من أجل نشأة الأجيال الجديدة، وهذه بدورها أيضا سوف تسير في نفس الطريق وتغادر الحياة عندما ينتهي وقتها مثلما غادر الأولون. ولم توجد الحياة لكي يحتفظ بها شخص ما، وإنما لتكون مشاعة للجميع.[٩٢]

يسمى هذا البرهان باسم دليل السكانThe Population argument ويطالبنا فيه ليوكريتيوس بالتخلي عن نظرتنا الفردية المحدودة وأن ننظر إلي الحياة والموت من منظور الكل، وفي هذه الحالة لن نخاف من الموت على الإطلاق. يجب أن ننظر إلي العالم نظرة حب واهتمام بالكل، ونعتبر موتنا مجرد حياة واحدة داخل الكل. وعند هذه اللحظة سوف نكتشف أمرين[٩٣]: **الأول:** أن كل أشكال قلقنا وتوترنا الشخصي تبدو تافهة لا تستدعي منا التفكير الطويل. فالموت والحياة أمران شاملان وضروريان، وليس موتنا وحياتنا حالة استثناء. وبذلك تسقط الظلال التي تقيد نظرتنا، ونغمر بنور الكون الساطع. أو كما يلخص هذا الجزء من القصيدة جورج سانتيانا فيقول "إن هذا الذي يحيا حياة الكون أجمع، لا يمكن أن يبدي اهتماما كبيراً بحالته الخاصة."[٩٤] **الثاني:** عندما ننظر إلي موتنا في ضوء الكل نفهم أنه يجب أن يحدث من أجل استمرار الصحة والحياة ككل واحد، يقول ليوكريتيوس " هناك حاجة للأمر حتى تتمكن الأجيال التالية من النشوء، إذ أن لها أيضا الحق في أن تحيا حياتها الخاصة وأن تخلفكم.[٩٥]

إن هناك في الطبيعة عمليات دائمة من الوجود والفناء، وهي التي تنظم هذه العمليات ، فتخلق لكي تدمر، وتدمر لكي تخلق، وما يهمها هو الكل وحده. إن الحياة التي تنوح عليها نواحاً مريراً ليست سوى جزء شديد الضآلة في هذا الكل. بل ويجب في الحقيقة أن يتم استعادتها منك إذا كان لهذا الكل أن يعيش ويستمر. أما لو كان البشر مخلدون، فسوف يقود هذا إلي توقف الطبيعة ككل. والبكاء على حياة تجاوزت الحد المعقول لها ، هو أنانية وقسوة على الموجودات الطبيعية الأخرى.[٩٦] ليست الحياة سوى ضربة حظ Eventum ، سمة عرضية في عملية توازن المادة، مثل قذف زهري النرد على العدد ٦، فهو ضربة حظ لعملية اهتزاز زهري النرد، وكما أن هذه القذفة تنهي المباراة ، وتحقق أفضل

نتيجة ممكنة، كذلك الحياة هي القذفة التي تنهي المباراة وتحقق أفضل نتيجة ممكنة بهذا الشكل، فلا يجب أن نندم عليها إذا انتهيت.[٩٧]

يعتمد برهان السكان هذا على فرض صحيح يقول: إن موارد العالم المادية ليست قابلة للامتداد إلي مالا نهاية، إذ حتى لو كان بمقدور العالم أن يتحمل بعض الزيادة في السكان فإنه لا يستطيع تحمل زيادة لا حدود لها، وإلا لوجدنا أنفسنا . إن عاجلاً أو آجلاً في وضع لا نجد فيه الموارد اللازمة لحياتنا. لا يطالبنا هذا البرهان بهذا الشكل بالتوقف التام عن النظر إلي الموت الشخصي على أنه مأساة أو خسارة، كل ما يفعله هو أن يذكرنا بأن هذه الخسارة هي خير لشخص أخر، وأن ما تتمنى أن تتحاشاه بكل ما في طاقتك أمر ضروري، وخير للآخرين الذين لم يولدوا بعد، وأن بناء الطبيعة يتضمن توتراً دائماً مأساوياً بين رغبات الجزء ومطالب الكل.[٩٨] ولا يمكن للفرد الواحد أن يعترض بقوله: ولماذا لا أكون أنا استثناءً ؟ أليس من الأفضل أن تمتد الحياة وتتجمد بأهل الخبرة من أن تبدأ جولات من جديد غير مضمونة النتائج مع الأجيال الجديدة؟! لماذا لا نتحكم في المواليد الجديد فلا نقع في مشكلة قلة الموارد هذه؟ إذ إن الأبيقوري سوف يرد عليه: إنك في موقفك هذا ترتكب ظلماً كبيراً ليس في حق الصغار فقط، بل في حق البشر الآخرين من أبناء جيلك أولئك الذين سوف يُقدر عليهم الرحيل المبكر كنتيجة مترتبة على دعم حياتك المستمرة أنت.[٩٩] كما أنك بهذا الكلام سوف تدمر النظام الذي أوجدك أصلاً، لأنك سبق وأن استفدت من حب ورعاية الآباء والمعلمين، فلماذا لا تقوم بدورك برد الجميل؟ كما أن هناك عنصراً جوهرياً من عناصر القيمة سوف ينقص عالمك ، سوف تنقصه قيمة التفاعل بين الكبار والصغار، واستفادة الصغار من خبرة الكبار، وتجديد حيوية الكبار بأفكار الشباب الفتية. سوف ينقصه الكثير مما نعتبره نحن ذا قيمة مثل: الإنجاب ، تنشئة الأطفال، وأنواع الحب المختلفة.

٥- برهان حتمية الموت

يحاول ليوكريتيوس في هذا البرهان إزالة الخوف من الموت بالتدليل على أن الموت كاس دائر على الجميع، فلماذا العويل والبكاء على أمر قادم لا محالة؟ يقول : لن نستطيع أن نضيف بإطالة الحياة أي لحظة إلي الوقت الذي سوف يهاجمنا فيه الموت. فلسنا نملك السلطة على أن نمنح أنفسنا فسحة من الوقت حتى ولو كانت قصيرة، بل نُدفن كما دُفنت الأجيال الطويلة قبلنا. فالموت الخالد ينتظرك، ولن يكون أحن على الإنسان الذي يموت اليوم عما كان على الإنسان الذي مات من شهور أو سنين مضت.[١٠٠] وحتى لو إفترضنا جدلاً أنك استطعت بصورة من الصور أن تطيل عمرك بضعة قرون كما تتمنى، فالموت في النهاية سوف ينتظرك بشكل لا يقل عن انتظاره لك في الحياة القصيرة.

ما يجب علينا أن نفعله وقد علمنا بحتمية الموت، ألا نجعل نوازع اليأس والندم تسيطر علينا، بل نوازع الاستسلام والرضي بقدرنا ونصيبنا. ويمكن سوق هذا البرهان في النقاط التالية:[١٠١] ١- الموت قد محتوم.

٢- من غير المعقول الانزعاج مما يكون محتوماً.

٣- إذن من غير المعقول الانزعاج من الموت.

يجب علينا أن نعلم أن الحياة والموت قرينان لا يمكن أن ينفصلا، فالحي لا يكون حياً إلا بشرط أن يكون فانياً، أو كما قال "جان فال": إن ما يحيا هو وحده الذي يقبل الموت، ولو عدم الموت ما استحقت الحياة أن تُعاش. أو كما قال إبكتيتوس الرواقي: تباً لحياة لا تنتهي بالموت.[١٠٢] فكما أنه لا يمكن أن نسر بتناول الطعام الفاخر ما لم تنتهي المأدبة ، كذلك الحياة لن تكون ذات معنى إلا إذا كانت متناهية. ومن المحتمل أن مشهد موتنا هو الذي يخلع على حياتنا المعنى. أو ربما الذي يكمن خلف القيمة التي نلحقها لمشروعاتنا ومتعنا. فإذا كان الأمر كذلك فمن غير المعقول أن نُزعج من شرط ضروري لخيرية الحياة.[١٠٣] إننا نخاف من الموت لا لشيء سوى لأننا نحب الحياة، ونرفض أن تنتهي في طرفة عين. وقد أضعفت الأبيقورية هذا الحب بالزهد والهروب من

ضغوط الحياة، وعندما يتم إطفاء حب الحياة يأخذ الخوف من الموت . والذي يشبه الدخان المتصاعد من هذه النار . في التلاشي بدوره.[١٠٤]

وكم كان ثناء ماري نوسيوم كبيراً على هذا الدليل الأبيقوري ، فهو لا يطالبنا بالنفور من خوفنا ، ولا بأن نستعمله كعذر يمكننا من الفرار من الظروف البشرية، وإنما بأن ننظر إليه كواحد من الشروط الخاصة بفرصنا العظيمة في الحياة. إنه نوع من العلاج الطبيعي للخوف من الموت في رأيها، كما أنه يحقق ما يطلبه أبيقور بجعل فناء الحياة البشرية أمراً ممتعاً، وهو لا يزيل الخوف من الموت، بل يوازنه بتأملات ميتافيزيقية أخرى تقود إلي تقليص قوته الإحباطية.[١٠٥] فلا ينبغي علينا إذن أن نتمنى بعد ذلك حياة مستمرة لا تنتهي، فمثل هذه الحياة سوف تكون الموت بعينه، وماذا عسى أن يكون الجحيم إن لم يكن استحالة الموت، فلنرضى بقدرنا بسرور.

ننتهي بذلك من استعراض الموقف الأبيقوري المنكر للخوف من الموت، ومحاولة التخفيف من آلام وأحزان البشرية بصرفها عنها، والعيش في سلبية وانعزال تام. وقد كان للأبيقورية لهذا السبب أثرها العظيم على العصور الرومانية التالية: حيث يذكر شيشرون أن عدداً كبيراً من الرومان اعتنقوا الأبيقورية، وأنها سحرت الناس، وأنها سادت على كل إيطاليا.[١٠٦]ولا عجب في ذلك فقد كان الرومان يئنون تحت وطأة الدين والمخاوف المظلمة والاستبداد السياسي. وقد سعى أبيقور إلي تحويل آلامنا إلي مصدر للذة. واعتبر أن أعظم اللذات أن نتخلص من الألم والخوف. لذا قال ليوكريتيوس "قدم أبيقور خدمة جليلة للإنسانية بتحريره الجنس البشري من أوهامه، ومن الفزع الرهيب من الآلهة.[١٠٧] ومدحه شيشرون بقوله: لقد أنجانا أبيقور من هذه المخاوف واقتادنا إلي الحرية.[١٠٨] وأخيراً بلغ إعجاب الفيلسوف الكاثوليكي سانتيانا به حداً جعله يقول: لقد نادى أبيقور بما يمكن أن يُعد أعظم فكر وصل إليه الجنس البشري إطلاقاً.[١٠٩]

ولآن جاء دور التقييم: فما رأينا نحن في موضوع الخوف من الموت؟ هل كانت الأدلة الأبيقورية السابقة أدلة مقنعة لصرف الخوف من الموت من القلوب؟؟

د . رد وتفنيد

تعرضت الأدلة الأبيقورية السابقة لنقد وتفنيد عنيف ليس على يد الباحثين المحدثين فحسب، بل وعلى يد القدماء أيضاً ، وكان النقد بنفس القوة التي جاءت بها الأدلة، بل أن "فريد فيلدمان" اعتبر الأدلة الأبيقورية السابقة مجرد سفسطة كلامية لا تقنع أحداً، فنحن نأخذ الموت على أنه تعاسة تلحق بالذي يموت فنبكي في الجنائز، وعلى مصير الموتى.[١١٠] واعتبر البعض أن خوف أبيقور نفسه من الموت هو الذي دفعه في حقيقة الأمر إلي إلغاء الموت بجرة قلم ، وكأن ذلك كافياً لمحو ما في واقعة الفناء الأليمة من عنصر لا معقول هيهات للموجود البشري أن يتقبله أو أن يتعقله.[١١١]

كما أن أبيقور في موقفه السابق غفل عن أن لهذا الخوف من الموت في بعض الظروف وظيفة وقائية، فقد يدفع هذا الخوف البشر إلي أن يتخذوا أفعالاً وقائية، مثل ذلك الذي يمتنع عن التدخين خوفاً من الموت بسرطان الرئة. فشخص كهذا ستكون لديه مبررات مقنعة للخوف من الموت، ويرى أنه من الحكمة أن يمتلك هذا الخوف طالما أنه يقوده إلي إتباع أساليب أمنة وصحية، ولولاه ما استطاع أن يصل إليها وصولاً كاملاً.[١١٢]ومن ليس لديه هذا الخوف الذي نعرفه نحن البشر من الفناء . كالآلهة مثلاً لا يعرف الفضائل التي نعرفها في حياتنا الفانية: كالشجاعة والاعتدال والصداقة والحب، فالشجاعة مثلاً تتمثل في مواجهة ومقاومة واقعة الموت.[١١٣] والاعتدال هو سيطرة على الشهوة في موجود قد يؤدي الإسراف في أنواع منها إلي المرض والموت المفاجئ. وإذا تلاشي الخوف من الموت سوف تفقد الكثير من الأنشطة البشرية كثيراً من

الحرارة والحيوية . فلولا شعورنا بأن فرصنا قليلة لتغيرت الأفعال ، وتغير معناها لدينا بصورة لا يمكن تخيلها، وتتحول إلي أعمال شديدة العبثية والتفاهة.[١١٤]

وسوف نشير فيما يلي إلي النقد الذي وجه إلي كل دليل من هذه الأدلة الأبيقورية ، ثم نعرض بعد ذلك لوجهة نظرنا الخاصة.

١- نقد الدليل الأول

كان على راس المهاجمين للبرهان الأبيقوري القائل بعدم وجود متعرض لضرر الموت عالم دين مسيحي يسمى "لاكتانتيوس" Lactantius عاش في القرن الثالث الميلادي، حيث ذهب إلي أن أبيقور يخدعنا فيه ببراعته الكلامية ، ويجهل نتيجته ، فلو كان الموت لا يعنينا في شيء لأننا لن نعد نحس بعده بأي شيء ، فإن النتيجة المنطقية لذلك هي انتشار الرذيلة، ودعوة إلي أن يغترف الإنسان من الملذات بما في ذلك الحكيم الأبيقوري نفسه بلا حساب طالما أن الموت لا يهم ، والإله لا يحاسب أحداً.[١١٥]

أما في العصر الحديث فقد انتقد "توماس ناجيل" هذا الدليل مؤكداً على أن حياة المرء تتضمن "الكثير مما لا يقع داخل حدود الجسم والعقل، ويتعرض للخير والشر إلي حد كبير لأنه يتمنى ما يمكن أن يتحقق ومالا يمكن ، والموت حرمان. ولا يُشترط أن يكون هناك متعرض مدرك لهذا الحرمان أم لا. فالفشل في بلوغ (س) مثلا يمثل شراً لـ (ص) إذا كانت (س) سوف تشكل خيرا لـ (ص) وكان (ص) سوف يصل إليها لو ظل على قيد الحياة.[١١٦] موت المرء سوف يحرمه من طيبات المستقبل، لذلك فهو شر يثير خوفه. فلا يجب أن تُقيم الخسائر داخل السيرة الذاتية للمتعرض لها، وإنما ينبغي أن تُقيم في ضوء المفردات الخاصة بعلاقتها بفرص هذا الشخص في الحياة.[١١٧] وقال بنفس هذا النقد أيضا هاري سيلفرشتين، وتشارلز تيلور، وبرنار وليم، وديفيد فورلي ، وماري نوسيوم،[١١٨] وأخيراً "ليوبر"[١١٩] S. Luper فمن الخطأ قصر الخوف من الموت على الخوف مما يعقب الموت آلام لا يحسها الميت، فنحن لا نخاف من

الموت لهذا السبب وحده ، بل نخاف منه لأنه يأتي فجأة قبل موعده ، أي قبل أن نحقق غاياتنا ونستمتع بثمار جهدنا. إن الموت يحبط ما يسميه "برنار وليم"[١٢٠] الرغبات المطلقةCategorical Desires والتي إذا ما أُحبطت يمثل ذلك ضرراً يلحق بالشخص المحبط، وهي رغبات لا تشترط أن يكون المرء على قيد الحياة في الوقت الملائم للإشباع، أو في وقت الإحباط، كالرغبة في الحياة مثلا. وانتهى هؤلاء في هذا النقد إلي أن الموت شر لأنه إعاقة لكل أساليب الحياة، إعاقة للعمل، للحب، للمواطنة. إعاقة لمشروع يكمن خلف كل هذه الأساليب جميعاً، وهو مشروع عيش حياة بشرية كاملة. إنه يعوق إحساس باطني ضمني بامتداد الحياة وتطورها المتوقع والمعقود عليه الآمال. فالموت يضرنا بشكل غير مباشر لكونه مسئولاً في أن ما لدينا من رغبات سوف يتعرض للتهديد، ويعوقها عن إفادتنا. إنه يضر مرتين: عندما يقع فيهلكنا، وعندما يغدو من المحتوم علينا . بسبب الموت . أن نعجز عن تحقيق طاقاتنا.

ويوجه وليم فيريولو نفس النقد السابق وإن كان يخفف من حدته بعض الشيء لقوله بأن الحياة نفسها عبارة عن هبة حظ (يانصيب) لا يكتسبها الإنسان بجهده ، ومن ثم فالموت حرمان من الخيرات المرتبطة بالحياة، فلا يتعرض له إلا من ربح من قبل (يانصيب) الحياة، فيجب أن يُوضع ضرر الموت في كفة، وفي الكفة المقابلة هبة الحياة، ومن ثم فهو ليس ضرراً فحسب إلا تقريباً بنفس المعنى الذي تكون به الضريبة المدفوعة على كسب اليانصيب ضرراً.[١٢١] أما جورج سانتيانا فيؤكد على أنه برهان جدلي، إذ ليس من الصادق دائماً أن البشر لن يحسوا بذلك الذي لا يعاصرون وقوعه، فالخوف من الموت خوف فطري في الإنسان وليس خوفاً عقلياً. نحن نرى أن ما يقع لنا بعد الموت أمر شديد الأهمية لنا، ليس لخوفنا من العذاب الأخروي ، وإنما لخوفنا مما سوف تكون عليه الأحداث على الأرض بعد موتنا ، وهو خوف سابق على عملية الموت نفسها. إنه بصورة أخرى حب الحياة ذلك الحب القاهر الذي

يغطي الأرض بنباتها وحيوانها ، ويعلم الحيوان البحث عن طعامه وقرينه، ويعلمه المقاومة والفرار من كل أذي.[١٢٢] ويضيف سانتيانا نقداً أخر وهو أن القول بأن النفس مؤلفة من ذرات مادية ليس دليلاً على فناءها، لأن ذرات النفس غير قابلة للفساد مثلها مثل كل الذرات. فإذا كان الشعور قد ألحق بأنصبة مجموعة صغيرة منها، فمن المحتم أن الشعور يستمر موجوداً فيها بعد أن تغادر الجسم. ومن الممكن أن يكون الوضع الجديد أكثر ملائمة لها للانطلاق مثلما يمكن للنحلة أن تجد السماء أو الحديقة أكثر إثارة من الخلية.[١٢٣]

ويعارض "فريد فيلدمان" شرط الوجود الوارد في البرهان ويعتبره قائماً على تشوش وخلط. فليس من المشترط دائماً في كل الحالات أن يكون المرء موجوداً في لحظة وقوع الضرر. فهناك أضرار عامة كلية تصيب الإنسان بغض النظر عن وجوده إثناء حدوثها أم لا. والشرط الوحيد لوقوع الضرر في رأيه هو أن تكون درجة سعادة المرء في العالم الأقرب إليه حيثما يقع الحدث أدنى من درجة سعادته في العالم الذي كان الأقرب إليه حيثما لا يقع فيه الحدث. وموت شخص ما ضرر له، لأنه يكون من الأسوأ له أن يغدو ميتاً، مما كان سوف يغدو عليه الأمر لو أنه بقي على قيد الحياة. خطأ أبيقور أنه ركز على الشر الذاتي للموت، وتجاهل أن الموت شر موضوعي للبشر جميعا، وليس قاصراً على شعور ذاتي بالضرر من الشخص الميت.[١٢٤] ويتفق معه في رفض "شرط الوجود" أيضا "جويل فينبرج" مؤكداً على إمكانية نسب الضرر إلي الإنسان الذي لم يعد موجوداً.[١٢٥]

أما باول يورجرو فيعترض على الدعوى الأبيقورية الواردة في البرهان والقائلة بأن الموتى ليس لديهم وجود ولا يصيبهم أذى، حيث يؤكد على أن للموتى نوعاً من الوجود، لأن الموت لا يعني العدم، فالميت موجود في عقولنا ، وأحداث حياته نتذكرها كماضي ، حقاً موت سقراط ليس حدثاً في حياته، ولكنه

لكل هذا حدث أصلي ويحل بسقراط، وبهذا المعنى نتحدث عن دوائر الموتى والممكن، والذين لم يولدوا بعد.[١٢٦]

٢- نقد الدليل الثاني

رفض كثير من الباحثين دليل الاتساق الأبيقوري حيث يذهب "توماس ناجيل" إلي أنه يقوم على تمثيل لا يجوز، لأن الحقبة التالية على الموت حقبة تحرمنا من الممكنات المستقبلية ، فهناك شخص مجسد يعاني من خسارة، أما لو كنتُ قد ولدت قبل ميلادي بوقت طويل لكنت شخصاً مختلفاً.[١٢٧] واتفق معه في هذا النقد برنار وليم ، فالذين لم يولدوا بعد . في نظره . لا تكون لديهم رغبات تحتاج إلي الإشباع، غير باحثين عن رغبات مطلقة يحبطها الموت، ومن ثم فإن ضرر الموت غير موجود لديهم.[١٢٨] وقام اعتراض فيلدمان على هذا الدليل على اعتقاده بوجود عوالم ممكنة في المستقبل والماضي، وكذلك على نزعة أكسيولوجية حيث أكد على أن الموت المبكر شر أعظم للشخص المتوفى قبل الميعاد من الميلاد المتأخر للشخص المولود في وقت متأخر. فالمستقبل أفضل في نظرنا دائما من الماضي. إن التماثل بين الحالتين غير موجود ، فردود أفعالنا الانفعالية نحو اللذات المفقودة بفعل الموت المبكر أقسى بكثير من ردود أفعالنا نحو اللذات المماثلة المفقودة بواسطة الميلاد المتأخر. ومما يدعم ذلك واقعة أننا أميل إلي الاعتقاد بأن الماضي ثابت، في حين لا يزال المستقبل مفتوحاً، فلدينا انحياز نحو المستقبل، فحالما تغدو الأشياء ماضياً نفقد الاهتمام بها.[١٢٩]

كما تحفظ عليه "ليوبر" واعتبره برهاناً ضعيفاً، لأن شكوانا من الموت لا تقتضي أن حالة انعدام الوجود حالة كريهة، وإنما العكس تكون شكوانا لأن الموت يضع نهاية للحياة والتي هي شيء طيب. فضلا عن أن الموت صورة منعكسة للميلاد، والاثنان يؤثران فينا بطريقتين مختلفتين: الميلاد يجعل الحياة ممكنة، أي يجعل شيئاً طيباً يبدأ، في حين يجعل الموت الحياة مستحيلة، فيضع

نهاية لشيء طيب.[١٣٠] نحن لا نهتم بانعدام وجودنا السابق على الميلاد لأنه يُعقب بوجود، ولو كان موتنا يعقبه وجود لكان كذلك. فضلا عن أن لنا أهدافاً نتطلع إلي تحقيقها في المستقبل، والاشتراك فيها شيء قيم في ذاته. بل إنها التي تشكل العنصر الجوهري في ذواتنا، نحن لا نستطيع أن نرسم خططاً وننفذها في الماضي، فمن المعقول أن نحزن من الموت الذي يضع نهاية لهذا المستقبل أكثر من حزننا على فرص الماضي. وهو نفس النقد الذي وجهه باول يورجرو حيث قرر أن البشر يتطلعون في مشاريعهم ومخاوفهم إلي الشرور المستقبلية ، وأن مستقبلية الموت هي التي تجعله شراً نتهيبه.[١٣١]

٣- نقد الدليل الثالث

تعرض هذا الدليل لسيل عارم من الانتقادات والتي تسير في معظمها في ركاب معلومة وردت لدى أرسطو تقول: يبدو أن هناك قدراً من الخير أو الشر يلحق بالميت مثلما يحدث للحي غير الواعي. مثل الشرف أو عدمه، نجاح أو تعاسة أولاده وذريته بوجه عام.[١٣٢] حيث بنى النقاد على ذلك أن هناك ضررا يقع على الميت من موته على عكس البرهان الأبيقوري.

حيث اتفق كل من توماس ناجيل[١٣٣] وفريد فيلدمان[١٣٤] على خطأ هذا البرهان الأبيقوري. فالموت في الحقيقة شر للميت لأنه يحرمه من الفرص المستقبلية السارة. إن الميت بسبب الموت سوف يغدو في وضع أسوأ مما كان سوف يغدو عليه لو ظل حياً. أما تحديد الوقت الذي يكون الموت شراً فيه للميت فأمر غير معجز لأنه يكون هكذا بشكل دائم وليس في لحظة بعينها.

إنه لما كانت الحياة تمثل شيئاً خيراً فإن الموت بوصفه غياباً أبدياً لهذا الخير يكون شراً ويثير الفزع حتما. إنه يحكم بالفناء على الأبنية التي يمتلكها كل منا بوصفه فرداً. إنه خوف باطني ذاتي داخل كل إنسان لا يريد أن يرتد إلي النوع ، بل يريد دائماً التميز بفرديته. أو كما قال "إريك فروم": الخوف من الموت ناتج عن إحساس الإنسان بأنه فشل في الحياة، أو عجز عن تحقيق إمكانياته

الإبداعية، وأن حياتنا قد ضاعت قبل أن نحقق ذواتنا.[١٣٥] وهو نفس النقد الذي يوجهه "جرين" إلي البرهان حيث أكد على أن الخوف استجابة شعورية لإحباط متوقع في ظل ظروف لا يكون المرء على يقين منها. إن ما نخاف عليه هو ألا تستمر أشكال حياتنا على النحو الذي نحب.[١٣٦] وأكد باول يورجرو في نقده على أن الموت من الشرور الباطنية العلائقية intrinsically relational إذ لما كان البشر يرتبطون بالحياة ، والموت يحرمهم منها ومن إمكانية الاستمتاع بكل ما تكون الحياة شرطاً مسبقاً له، فهو بالتأكيد شر ينبغي الفزع منه.[١٣٧]

ولم يرض أيضا كل من برنار وليم وديفيد فورلي عن هذا البرهان، وأكدا على أن في الموت حرمان لنا من التخطيط للمستقبل، والحصول على ما نريد خاصة الرغبات المطلقة التي يتفق عليها البشر جميعا.[١٣٨] الخوف هنا هو الخوف من أن العالم سوف يستمر بخير في طريقه دوننا، وأن كل جهودنا للعيش هنيئاً لا طائل منها، ولا توجد فرص أخرى للتعويض. إن أفضل رد على أبيقور هو أن رغباتنا دائماً ما تفوق حدود الحاضر، وأن أبيقور نفسه في اعترافه بقوة لذات العقل . بما فيها اللذات الحدسية التوقعية . قد اكتشف أنه من المستحيل التمسك بموقفه تمسكاً صارماً بالشكل الذي يكفي لتدعيم برهانه.[١٣٩] وتقول ماري نوسيوم في نقدها للبرهان : إننا لو سلمنا جدلاً مع أبيقور بأن الحياة الأطول ليست الأفضل، فلن يكون هذا كافياً لاستخلاص النتيجة الجازمة بأن الموت لا يمثل فقداناً للقيمة لدى الميت، لأنه حتى لو كان هناك نشاط قيم وحيد ممتد عبر الزمان، وأن الموت يعوق هذا التطور يظل مأساوياً من هذا الجانب.[١٤٠]وانتقده هاري سليفرشتين وذلك بخلع الطابع المكاني رباعي الأبعاد على الزمان، مؤكداً على أن في الموت حرماناً، والبعد الزمني بين الحرمان وبين الموت ، أي بعد الأحداث التالية على موت صاحبها لا يمنع من إصدار أحكام تقييمية عليها، مثلما لا يمنع البعد المكاني من إصدار تقييمات على

الأحداث ، فهذه الأحداث حية وموجودة ،وهي تتضمن إحباطاً لمشروعات الميت وقصفاً لاستمرارية الحياة.[١٤١]

أما نقد "لوبير" فيذهب إلي أن الموتى يضارون بالموت بشكل غير مباشر، طالما أن الموت يضر بالأحياء العزيزين على الميت، أو يضر بسمعته الشخصية، أو يحرمه من علاقاته الحميمة، أو يحبط طموحاته، أو يحول بينه وبين بلوغ خيرات عظيمة في حياة كانت محتملة له لولا إعاقة الموت.[١٤٢] وتؤكد "إميلي رورتي" في نقدها على أن القاسم المشترك في كل صور الخوف من الموت هو الخوف من الحرمان، فنحن عندما نخاف الموت نخاف من الأضرار التي يجلبها علينا، وليس نخاف من موتنا نفسه.[١٤٣]

٤- نقد الدليل الرابع

انتقد جورج سانتيانا هذا البرهان القائل بضرورة أن نرضى بالموت وندفع حياتنا ثمناً لمولد أجيال جديدة من البشر، مؤكداً على أن فيه فقداناً لأشخاصنا نفسها، فهذا الذي يعيش حياة الكون أجمع لا يكون كثير الاهتمام بحياته هو الخاصة.[١٤٤] وهناك نقد أخر له يذهب إلي أن الخوف من الموت خوف غريزي وطبيعي فينا، فنحن من ذلك النوع من الكائنات الذي يريد أن يعيش، ولسنا بحاجة إلي تقديم أي برهان يبرر رغبتنا في الحياة لأنها جزء من طبيعتنا.[١٤٥]

٥- نقد الدليل الخامس

يتفق نقاد هذا الدليل على واقعة واحدة وهي: أنه لو كان الموت حقيقة محتومة، فإن النتيجة المنطقية لذلك هي أنه أمر مأساوي يجب الخوف منه، خاصة وأنه يأتي إلينا فجأة وبلا سابق إنذار، عكس ما استنتجه منه ليوكريتيوس. حيث قرر برنار وليم على أن هذا البرهان على تناقض مع العقيدة الأبيقورية الأساسية: الموت لا يمثل شيئاً لنا. إذ يتضمن أن الموت الذي يعقب حياة طويلة أسوأ من الموت الذي يأتي في وقته، مما يعني أن الموت شر هنا، وهو عكس ما تؤكده العقيدة الأبيقورية.[١٤٦] وينتقده د/ زكريا إبراهيم بقوله " إن

الموت مأساة ميتافيزيقية لا أستطيع تجاهلها لأنها نهاية كل شيء، إننا نخاف من الموت لأننا لا نريد للعدم أن يكون نهاية مصيرنا البشري. إنني حينما أفكر في أنني لا محالة مائت، وأنني لابد أن أموت وحدي، فإن الجزع يستولي على نفسي، حتى أكاد أتصور نفسي ميتاً حياً في قبر مظلم."[١٤٧]

وكان نقد جورج سانتيانا له أن ليوكريتيوس يبذل هنا جهداً كبيراً ليصرفنا عن الحياة، وعن كل ما يغري فيها، بدعوى أن في الفرار منها خلاص عظيم للإنسان، وهو كلام يناسب التعساء وحدهم ، ولكن ما فاته هنا أن البشر ليسوا بائسين باغضين للحياة في جملتهم، ومن ثم وبنفس درجة ترحيب البائسين بالموت تكون درجة بغض وخوف أصحاب النفوس النشطة والقوية منه.[١٤٨] وتشير ماري نوسيوم إلي تضارب عميق داخل البرهان: فبينما يحثنا أبيقور وتلميذه فيه على الإصغاء لصوت الطبيعة، ونسلم بالموت عن طيب خاطر وأن نسقط حنيننا المكتسب من خلال العرف إلي الخلود، نجد على الجانب الآخر هناك مثل أعلى أبيقوري يحثنا على ترك الفناء المجرد، وأن نحاول التشبه بالآلهة! حيث يقول أبيقور: "سوف تعيش كإله بين البشر، فلا شك أن إنساناً يعيش في خيرات أبدية لن يكون بأي حال حيواناً فانياً."[١٤٩] كما أن الاعتماد على الألوهية كصورة للحياة الفاضلة سمة بارزة في أكثر من موضع من قصيدة ليوكريتيوس.[١٥٠] وهو تضارب لا يمكن إغفاله.[١٥١]

<u>هـ- الرأي الشخصي</u>

نحن الآن أمام موقفين متعارضين: الأول الموقف الأبيقوري المطالب بإسقاط الخوف من الموت من حياتنا لنحقق السعادة الكاملة، والثاني موقف النقاد الذي يؤكد على أن الموت حرمان من خير كان سوف يغدو من نصيبنا لولاه، وبالتالي فهو مصدر ألم لنا يجب الخوف منه. فإلي أي من الموقفين ننحاز؟؟

الواقع أننا لا ننحاز إلي هذا الموقف أو ذاك انحيازاً كاملاً، بل نتخذ موقفاً وسطاً فنؤيد موقف أبيقور في بعض الحالات ، وموقف النقاد في البعض الأخر. فالموت لا يكون دائماً مصدراً للخوف، كما أنه ليس دائماً مصدراً للسعادة. فالأمور الإنسانية مثل: الحياة والموت والحب والكره ..الخ كلها أمور نسبية لا تخضع للتحديدات الصارمة المطلقة، وإذا كانت النسبية قد غدت اليوم الكلمة الأخيرة في العلوم الطبيعية ، فأدعى أن تكون كذلك في الأمور الإنسانية التي لا تعرف بطبيعتها الثبات المطلق أصلا. لقد تطرف أبيقور عندما أصدر حكماً مطلقاً كلياً على أمر هو في الأصل نسبي ومتغير. ووقع نقاده في الخطأ ذاته، كما لا يخفى كذلك أن للموقفين جدارتهما التي لا تنكر، لكن السؤال ما كان يجب أن يُطرح هكذا، ما كان يجب أن نسأل هل يجب علينا أن نخاف من الموت أم لا بشكل مطلق؟ فهو سؤال لا يجوز، بل كان يجب أن يكون على الشاكلة التالية: في أي الحالات ينبغي الخوف من الموت وفي أيها لا ينبغي؟ فما يجب أن يكون نحو الموت هو ردود أفعال فردية مختلفة وليس رد فعل عام.

فالناجحون من البشر في حياتهم الذين يمثلون قيمة عظيمة في نظر أنفسهم وفي نظر المحيطين بهم . وكذلك البشر شديدو التعلق بالحياة . نجدهم أحرص ما يكون على الاستمرار في البقاء وتحقيق الخلود. فلابد أن يجدوا في الموت تهديداً خطيراً لهذا الحرص من جانبهم، وهدماً تاماً لكل قيمهم الشخصية، فلا بد أن يخافوا الموت ويرتعبون من فكرة قدومه أصلا. ولن يمكنهم أن يتناسوا الموت بالشكل الذي يطالب به أبيقور. أما حالات هؤلاء البشر الذين يرفضون الحياة لأنهم لم يذوقوا فيها إلا آلاما هائلة ومصائب لا تُحتمل (كالمرضى بأمراض مستعصية، المهمشون، المعدمون... الخ) فلابد أنهم يرحبون بالموت ، وينظرون إليه على أنه المخلص لهم من التعاسة ، ويعتقدون عن طيب خاطر أن الموت لن يكون أكثر قسوة بهم من الحياة نفسها، ويؤمنون بالموقف الأبيقوري ، وحالات الانتحار المختلفة أكبر دليل على ذلك.

إننا نتفق في هذا الرأي مع هاري سليفرشتين[١٥٢] الذي قرر أن الموت يكون موضع ترحيب بشكل عقلاني إذا كان المرء يمر بظروف استثنائية، ولكن تظل الحقيقة الثانية قائمة أيضا وهي أنه لا شيء يفزع الشخص الطبيعي المتمتع بصحة معقولة ، وظروف طيبة أكثر من موته. إننا نرى أن الموت ليس خيراً في كل الحالات، إنه نهاية لتجربة الحياة ، ويعتمد كونه خيراً أو شراً (مصدر ترحيب أو خوف) على ما كانت تبدو عليه هذه التجربة في نظرنا: ناجحة كانت أم لا. فموقف المرء من الموت يختلف إذن باختلاف مفهومه هو عن نفسه وعن حياته، إذ أن من يخافون من الموت لا يخافون من شيء واحد بعينه، بل أن ما يخافه المرء هنا غالباً ما يعكس ما يؤمن به على أنه جوهري وذو قيمة في حياته الشخصية.

الخاتمة

يمكننا أن نجمل في خاتمة البحث مجموعة النتائج التي توصل إليها:

١- كانت الأبيقورية بجملتها مذهباً فلسفياً موجهاً للانتصار على الخوف من الموت، حيث انشغلت بإزالة هذا الخوف من نفوس معاصريها إيماناً منها بأن هذا الخوف . ومعه الخوف من الآلهة . القيد الذي يقيد العقول عن بلوغ السعادة في هذه الحياة.

٢- أنكرت الأبيقورية الحساب الأخروي والخلود واعتبرت الحياة الدنيا الحياة الوحيدة التي نملكها، فيجب أن نعيشها كما ينبغي.

٣- نظرت الأبيقورية إلي الموت على أنه نوع من النوم اللذيذ الطويل فلا يجب الانزعاج منه على الإطلاق.

٤- اعتمدت الأبيقورية على فلسفتها الطبيعية ونظريتها في المعرفة في إزالة الخوف من الموت. إذ لما كان الإحساس لديها هو أساس المعرفة الوحيد ، والموت هو زوال لهذا الإحساس فلا يوجد متعرض لضرر الموت إذن.

٥- نظرت الأبيقورية إلي الخوف من الموت على أنه من الأوهام المتوارثة، ويخلو من أي أساس عقلي، بل من اصطناع السلطتين السياسية والدينية لأجل ترسيخ سلطانهما المستبد.

٦- رغم دعوة الأبيقورية إلي نبذ الخوف من الموت فإنها لا تحبذ طلب الموت وتمنيه وبغض الحياة، إذ أن للحياة قيمة ذاتية عالية عند الأبيقورية.

٧- رأت الأبيقورية أن للخوف من الموت أضراراً هائلة على الإنسانية، فهو العلة للكثير من الأمراض الإنسانية والخلقية والاجتماعية: كالطمع والبخل، وكافة أشكال النشاط المسعور في الحياة بغية الفرار من وضع الإنسان الفاني في العالم.

٨- كانت الأبيقورية أول من برهن برهنة فلسفية عقلية على تهافت الخوف من الموت، حيث قدمت خمسة أدلة عقلية ضده وهي: عدم وجود متعرض لضرر الموت، برهان تماثل انعدام الإحساس السابق علي الميلاد مع انعدامه التالي على الموت، ولما كان الأول لا يشكل أهمية لنا فكذلك الثاني. وبرهان أن الموت لا يشكل حرماناً من أي شيء لأن طول العمر لا يزيد المتعة شيئاً. والرابع هو البرهان الذاهب إلي أن الطاعن في السن يجب أن يموت لأجل حياة الأجيال القادمة لندرة الموارد الطبيعية، وأخيراً البرهان المستند إلي حتمية الموت، فلا يجب الخوف مما لا مفر منه.

٩- حددت الأبيقورية الأسباب التي تدفع البشر إلي الخوف من الموت قبل أن تهدمها هدماً عقلياً وهي: الخوف من عيش حياة تعيسة في الآخرة، والفزع من الآلام التي تصاحب عملية الاحتضار نفسها، والخوف من الآلهة وحسابها لنا على تقصيرنا. وأخيراً الخوف من الموت المفاجئ على مشاريعنا المستقبلية. وأزالت الأبيقورية هذه الأسباب بإنكار الخلود والحساب الأخروي، وإنكار اهتمام الآلهة بأمور البشر.

١٠- قام نقاد الأبيقورية بالرد عليها وأكدوا على ضرورة الخوف من الموت، لأنه يشكل حرماناً لنا من الفرص المستقبلية التي كنا سوف نجنيها حتماً لو لم يهاجمنا الموت في هذا الوقت بالذات.

١١- في الرأي الشخصي انتهينا إلي أن الموت من الأمور الإنسانية النسبية التي لا تعرف الأحكام المطلقة، وأن أبيقور ونقاده قد تطرفوا، وأننا لا نستطيع أن نصدر حكماً مطلقاً بضرورة الخوف من الموت، ولا حكماً مطلقاً بعكسه، وإنما نقول أن الموت أمر مفزع في بعض الحالات وغير مفزع ولا مخيف في بعضها الآخر.

الهوامش

[١] -د/ زكريا إبراهيم: مشكلة الإنسان، مكتبة مثر، القاهرة، ١٩٦٧، ص١١٤.

[٢] -د/ حسين العودات: الموت في الديانات الشرقية، الأهالي للطباعة والنشر، دمشق، ١٩٩٢، ص١٥.

[٣] - جاك شورون: الموت في الفكر الغربي، ترجمة : كامل يوسف حسين، عالم المعرفة، العدد ٧٦، الكويت، ١٩٨٤، ص ٣٦.

[٤] - نفس المرجع السابق ، ص ٦٢.

[٥] - Lucretius: De Rerum Natura, trans by: R. Latham, Penguin books, Baltimore, , 1994, 111,55-56, p.68.

[٦] - Epicurus: Vatican Sayings, 49,http://www.epicurus.net/Vatican.html.

[٧] - أبيقور: الأقوال الرئيسية،١١، ترجمة بيار بويانسي، تعريب د. بشارة صارجي في: أبيقورس، المؤسسة العربية للدارسات، بيروت، ١٩٨٠، ص١١٣.

[٨] -Cicero: De Finibus Bonorum et Malorum,B1, section19, http://www.epicurus.net/finibus.htm

[٩] - B. Inwood & L. P. Gerson: The Epicurus' reader, Hackett Publishing company inc, Cambridge, 1994, p. 99.

[١٠] - Lucretius: Op Cit, V1, 50, p.151.

[١١] - Catholic Encyclopedia, Epicureanism, http://www.newadvent.org/cathen/05500b.htm

[١٢] - M. C. Nussbaum: The Therapy of desire, Princenton university press, Princenton, 1994, p.102.

[١٣] - N.W. De-Witt: Epicurus and his Philosophy, University of Minnesota press, Minneapolis, 1954, p. 171.

[١٤] – بيار بويانسي: أبيقورس، ص ٦.

[١٥] - Lucretius: Op Cit, V1, 35, p. 190.

[١٦] - J.H. Nichols: Epicurean Political Philosophy, Cornell University press, Ithaca, London, 1976.p.102.

[١٧] - N. W. De-Witt: Op Cit, p. 183.

[١٨] - Epicurus: Vatican Sayings, 10.

[١٩] - Ibid, 2.

[٢٠] - Epicurus: Letter to Menoeceus,132, in: Diogenes Laertius: Lives of eminent Philosophers, trans by: R.D. Hicks, Vol.11,Harvard University press, Cambridge, 1979, p.657.

[٢١] - Epicurus: Vatican Sayings, 10.

[٢٢] – أبيقور : القوال الرئيسية، ١٩، ص ١١٤.

[٢٣] - Lucretius: Op Cit, 111, 956, p. 90.

[٢٤] - M. C. Nussbaum: Op Cit, p. 194.

[٢٥] - W. Ch. Greene: Moira, Harvard, New York, 1948, p.335.

[٢٦] - Diogenes Laertius: Op Cit, vol.11, X, 126, p.653.

[٢٧] - Lucretius: Op Cit, 111, 830, p. 87.

[٢٨] – هنري توماس: أعلام الفلاسفة كيف نفهمهم، ترجمة متري أمين، مراجعة د/ زكي نجيب محمود، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٤، ص ١٥١.

[٢٩] - Epicurus: Letter to Idomeneus, In Diogenes Laertius, Op Cit, vol.11, X,22,p.549.

[٣٠] - M. Nybom: On the question" Is Death an evil?" http://www.abo.fi/fak/hf/fsemi/papers/030210.htm

[٣١] - B. Inwood& L. P. Gerson: Op Cit, p.103.

[٣٢]– جاك شورون: الموت في الفكر الغربي، ص ٦٧.

[٣٣] – هنري توماس: المرجع السابق، ص ١٥١.

[٣٤] - Lucretius: Op Cit, 111, 908, p.89.

[٣٥] – جاك شورون: المرجع السابق، ص ٧٩.

[٣٦] - Epicurus: Letter to Menoeceus, 125, p.651.

[٣٧] - Lucretius: Op Cit, 111, 37-40, pp.67-68.

[٣٨] هناك من تطرف فرد كل الديانات إلي الخوف من الموت ، إذ كانت الديانات بجملتها استجابة لقلق الإنسان تجاه الموت، مثل ول ديورانت راجع د/ حسين العودات: الموت في الديانات الشرقية، ص ١٦.

[٣٩] - Lucretius: Op Cit, 1,80,p.11.

[٤٠] – د/ حسين العودات: المرجع السابق ، ص ١٢.

[٤١] - What Lucretius Wrought, http://www.human.st/pdhutcheon/humanist%20articles/lucritus.htm

[٤٢] - M. C. Nussbaum: The therapy of desire, p. 233.

[٤٣] - Lucretius: OP Cit, 111, 79-82, p.69.

[٤٤] - M. C. Nussbaum: Op Cit, p. 197.

[٤٥] - Lucretius: Op Cit, 111, 59-67, p.68.

[٤٦] - M. C, Nussbaum: Op Cit, p.218.

[٤٧] - J. H. Nichols: Epicurus Political Philosophy, p. 148.

[٤٨] - Cicero: De Finibus Bonorum et Marlorum, B1, sec.9.

[٤٩] - G.K. Strodach: The Philosophy of Epicurus, Northwestern university press. , U.S.A 1963, p.73.

[٥٠] - A. O. Rorty: " Fearing Death," Philosophy, 58, 1983, p.185.

[٥١] - M.C. Nussbaum : Op Cit, p.198.

[٥٢] - A.O. Rorty :Op Cit, p.186.

[٥٣] - M.C. Nussbaum : Op Cit, p. 235.

[٥٤] - F.Feldman: "Some Puzzles about the evil of death" The Philosophical, Review, 100,No.205, 1991, p.209.

٥٥ - Epicurus : Vatican Sayings, 2.

٥٦ - Epicurus: Letter to Menoeceus , 125, p.651.

٥٧ - Diogenes Laertius: Op Cit, Vol.11, X,66- 67, p.597.

٥٨ - H.S. Silverstein: "The Evil of Death" The Journal of Philosophy, LXXV11, , 1980, p.71.

٥٩ - G. K. Strodach: Op Cit, p. 71.

٦٠ - Lucretius :Op Cit, iii, 830, p. 87.

٦١ - Ibid, iii, 884-887, p.89.

٦٢ -Ibid, III, 870-911, pp. 88- 89.

٦٣ - Hegel: Lectures on the History of Philosophy, vol.11, trans by: E.S.. Haldane & F H.Simon, Routledge & Kegan Paul, London,1955, p. 307

٦٤ - Lucretius : Op Cit, 111, 881, p.89.

٦٥ - D. Furley: "Nothing to us" in: The Norms of Nature, ed by: M. Schofield & G.Striker, Cambridge university press, Cambridge, 1986, p. 76.

٦٦ – جاك شورون : الموت في الفكر الغربي، ص ٦٨.

٦٧ - Epicurus: Letter to Menoeceus, 132, p.657. –

٦٨ - J.M. Rist: Epicurus, Cambridge University press, 1972, p.148.

٦٩ - Lucretius : Op Cit, V1, 42, pp. 203-204.

٧٠ – أبيقور: في الآلهة، ترجمة : بيار بويانسي، المرجع السابق، ص١٣٠. وأنظر أيضا: - Epicurus : Letter to Menoeceus, 123, p.649.

٧١ – د/ أميرة حلمي مطر: الفلسفة عند اليونان، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٨٦، ص ٣٨٨.

٧٢ – أبيقور: في الآلهة، ص ١٣٠.

٧٣ - G.Santayana: Three Philosophical Poets of Life, Harvard university press, Cambridge, 1947, p.30.

٧٤ - Ibid, p.46.

٧٥ - N. V. De-witt : Op Cit, p. 231.

٧٦ - Voltaire: The Philosophical Dictionary, trans by: H. L. Woolf, Knopf, New, York 1924, Atheism11, http://histoy,hanover.edu/texts/voltaire/voluthe2.htm

[٧٧] – د/ حسين العودات : المرجع السابق ، ص ١٩.

[٧٨] - Lucretius : Op Cit, 111, 832-840, p.88.

[٧٩] - S. Luper: Death, http://Plato.stanford.edu/entries/death

[٨٠] - Ibid,

[٨١] - Ibid,

[٨٢] - M. C. Nussbaum: Op Cit, p. 203.

[٨٣] - Lucretius: Op Cit, 111, 852-861, p.88.

[٨٤] - D. Furley: Op Cit, p.77-78.

[٨٥] - Ibid, p.80.

[٨٦] - Ibid, p.81.

[٨٧] - Lucretius : Op Cit, 111, 944-945, p. 90.

[٨٨] - M. C. Nussbaum: Op Cit, p. 203.

[٨٩] - D. Furley : Op Cit, p. 81.

[٩٠] - S. Luper: Op Cit, 6-2.

[٩١] - On the Epicurean view that death is nothing to us, http://www.soci.niu.edu/~phildept/Kapitan/death.html

[٩٢] - Lucretius: Op Cit, 111, 963- 971, p. 91.

[٩٣] - M. C. Nussbaum: Op Cit, p.222.

[٩٤] - G. Santayana : Op Cit, p. 43.

[٩٥] - Lucretius: Op Cit, 111, 967-971, p. 91.

[٩٦] - M. C. Nussbaum: The Therapy of desire, p. 222.

[٩٧] - G. Santayana: Three Philosophical Poets of Life, p. 44.

[٩٨] - M. C. Nussbaum: Op Cit, p. 223.

[٩٩] - Ibid, pp. 223-224.

[١٠٠] - Lucretius: De Rerum Natura , 111, 1075- 1077, p. 94.

١٠١ - On the Epicurean view that death is nothing to us http://www.soci.niu.edu/~phildept/Kapitan/death.html

١٠٢– د/ زكريا إبراهيم: مشكلة الحياة، مكتبة مصر، القاهرة، (د. ت) ص ١٧٤.

١٠٣ - M. C. Nussbaum: Op Cit, p.214.

١٠٤ - G. Santayana: Op Cit, p.53.

١٠٥ - M. C. Nussbaum: Op Cit, p. 232.

١٠٦ - M. L.Clarck: The Roman mind, Harvard university press, Cambridge, 1960.p21.

١٠٧ - E. Zeller: Outlines of the History of Greek Philosophy, trans by: L. R., Plamet ,Dover Publications inc, New York, 1980, p.238.

١٠٨ – بيار بويانسي: أبيقورس، ص ١٣٣.

١٠٩ – هنري توماس: المرجع السابق، ص ١٥٤.

١١٠ - F. Feldman: Some Puzzles about the evil of Death, p. 203.

١١١ – د/ زكريا إبراهيم: مشكلة الإنسان، ص ١١١.

١١٢ - A. O. Rorty: " Fearing Death," p. 176.

١١٣ - M. C. Nussbaum: Op Cit, p.227.

١١٤ - Ibid, p.229.

١١٥ - Lactantius: The Divine Institutes, http://www.epicurus.net/lactantius.html

١١٦ - D. Furley: Op Cit, p. 87.

١١٧ - M. C. Nussbaum: Op Cit, p.205.

١١٨ - H.S.Silverstein: Op Cit, p.402, O.H.Green: Fear of Death, Philosophy and the Phenomenological research,43,1982,p.100,D.Furley: Op Cit, pp.89-90,M.C.Nussb-Aum, Op Cit, p.210,& On the Epicurean view,http://www.soci.niu.edu/~Phildept/Kapitan/death.html

١١٩ - S.Luper: "Death" http://plato.stanford.edu/entries/death

١٢٠ M.C. Nussbaum: Op Cit, p. 206.

١٢١ - W.Ferraiolo: "Death" a propitious misfortune, http://www.detacollege. / org/div /socsci/faculty/Bill's%20puplication/Death%20Formatted.pdf

١٢٢ - G. Santayana: Op Cit, pp. 52-54.

١٢٣ - Ibid, p. 49.

١٢٤ - F. Feldman: Some Puzzles about the evil of Death, pp.218-219.

١٢٥ - O. H. Green: Op Cit, p.103.

١٢٦ - P. Yourgrau: "The Dead" The Journal of Philosophy, 84, 1987, p.89.

١٢٧ - Evaluation Epicurus' argument: the Deprivation account of the badness of Death http://instruct.uwo.ca/philosophy/143e-001/death class oct 29.htm

١٢٨ - M. C. Feldman: Op Cit, p.221.

١٢٩ - F. Feldman: Op Cit, p. 221.

١٣٠ - S. Luper: Op Cit, p. 2-3.

١٣١ - P. Yourgrau: The Dead, pp.100-101.

١٣٢ - Aristotle: NE,10-11, 1100a18-20, trans by: D. Ross, Great books of the Western World, vol.9,Benton Publisher, Chicago , 1952, p.330.

١٣٣ - N. Nybom: Op Cit, p.9.

١٣٤ - F. Feldman: Op Cit, pp. 217-220.

١٣٥ – د/ زكريا إبراهيم: مشكلة الحياة، ص ١٦٨.

١٣٦ - O. H. Green: "Fear of Death," p. 105.

١٣٧ - P. Yourgrau: Op Cit, pp. 86-87.

١٣٨ - D. Furley: "Nothing to us," p. 88.

١٣٩ - Ibid, p. 90.

١٤٠ - M. C. Nussbaum: The Therapy of desire, p. 213.

١٤١ - H. Silverstien: Op Cit, pp. 417-419.

١٤٢ - S. Luper: "Death", p. 3-4.

١٤٣ - A. O. Rorty: " Fearing Death," pp. 177-178.

١٤٤ - G. Santayana: Op Cit, pp. 55-56.

١٤٥ - M. Nybom: Op Cit, p. 9.

١٤٦ - D. Furley: Op Cit, p.82.

١٤٧– د/ زكريا إبراهيم: مشكلة الحياة ، ص ١٦٣.

١٤٨ - G. Santayana: Op Cit, p. 54.

١٤٩ - Epicurus: Letter to Menoeceus: 135, p. 659.

١٥٠ - Lucretius: Op Cit, 1, 4-49, p.10. & 11, 646-651, p.45.

١٥١ - M. C. Nussbaum: Op Cit, pp. 214-217.

١٥٢ - H. Silverstein: Op Cit, p. 402.